

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.alamontada.com

الأرض العبرية

تأليف
الروائي الأشهر
إيفان تورجنيف



دار العمال

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ النُّقَافِي)

يبراي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ النُّقَافِي)

بۆدایەزانەى جۆرەها کتیب:سەردانی: (مُنْتَدَى إِقْرَأِ النُّقَافِي)

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتيب (كوردی , عربی , فارسي)

منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahiamontada.com

الأرض العذراء

تأليف
الروائي الأشهر
إيفان تورجنيف



دار الهلال

مؤلف الرواية

ولد « ايفان تورجنيف » فى عام ١٨١٨م، وكان مولده فى «اوريل»
مزرعة القمح التى تستورد منها بلاد أوروبا كافة حاجتها منه .
فنشأ فى الريف ، واختبر حياته عن كثب ، وبلغ أشده فى حكم
الطاغية نقولا الاول . لقد أدرك عهد « رقيق الارض » وشهد بعينه
تلك الفترة السوداء من تاريخ روسيا الاجتماعى ، ومبلغ ما لقيه
الفلاحون الكادحون من غبن نظام الاقطاع فى أواخر سطوته ، بل انه
شهد ما هو أفدح من هذا وأنكى . . شهد اضطهاد الثقافة والادب
وحرية الفكر ، فرأى بعينه رأسه أعلام روسيا فى الادب والنقد
والشعر ينفون الى مناجم سيبيريا ، أو يساقون مكبلين بالاغلال
الى المشاقق ، ليعفى عنهم فى آخر لحظة وقد تهمت أعصابهم . . .
ولكن لا ليطلق سراحهم ، بل ليصلوا فى أرض سيبيريا الدائمة الجليد
وقد عرف ايفان تورجنيف السجن ثم النفى والتشريد ثلاثين
عاما ظل طوالها يناضل عن الحرية بعيدا عن وطنه . وفى الثامنة
عشرة دخل المؤلف جامعة موسكو ، ولكنه ضاق ذرعا بالنظام
الاستبدادى وجاسوسية البوليس السياسى ، فغادر روسيا فى سن
العشرين الى برلين ، فإذا بها ترزح تحت طغيان الحكم البروسى
العتيد . . ولكن استبداد بروسيا كان بالقياس الى طغيان قيصر
روسيا نعمة مشكورة !

فلما عاد بعد ثلاث سنين الى بلاده لم يستطع احتمال جوها
الحاقق لانفاس الاحرار ، فعاد الى الهجرة ، ولم يلم بوطنه الا فترة
وجيزة من كل سنة لرعاية الضرورى من مصالحه هناك

وذات مرة راودته نفسه على الإقامة فى ريف روسيا ، فلما ظهر
كتابه « قصص الصيد » سيق الى السجن ! وبذلك تزكى قلمه
وأدى ضريبة الحرية . . ولكنها كانت الاولى والاخيرة فأقلع عن
الإقامة فى وطنه ما بقى من عمره !

وفى أثناء اقامته بفرنسا عقد أواصر الصداقة مع كثير من أدبائها
الحالدين ، منهم جوستاف فلوير ، واميل زولا ، والفونس دوديه ،
ورينان ، وجورج ساند .. وترجم مؤلفاته الى الفرنسية بروسبر
مريميه .. فأصبحت فرنسا وطنه الثانى ، وصار يعد امام المدرسة
الواقعية فيها

وقد ثقلت عليه آلام النفى النفسية ، فتهدمت بنيته القوية ،
ومات فى سنة ١٨٨٣ بعد أعوام من آلام مرض السرطان ..
ومن مفارقات الايام أن رفات هذا الكاتب الذى حرم من وطنه
حيا قوبلت فى روسيا بالتكريم الذى لو لقى فى حياته جزءا منه
لكان أسعد العالمين ..



ويعتبر تورجنيف من أساطين الادب الروسى ، بل الادب القصصى
فى العالم . وقد اعترف له بهذه المكانة جميع النقاد الثقاة فى كافة
الدول الكبرى

فقد اكتملت له الاداة الفنية فى تصوير الشخصيات والمواقف
والبيئات من الالوان الى الخطوط الواضحة ، الى القدرة على المزج
والتركيب والتحليل .. فى اقتصاد واعتدال

فهو من أقدر كتاب العالم على تصوير موقف معقد تصويرا
وافيا بوضع كلمات ... ومن أقدر الناس على تصوير شخصية فى
بضع لمسات ، فاذا هى كائن حى



شخصيات الرواية

نجداتوف Nejdanov : شاب ثوري . عضو في جماعة سرية . شاعر . شديد الحساسية . طالب بالجامعة . في الثالثة والعشرين . ابن غير شرعي لأمر ثوري . . ساخط على المجتمع
استروودوموف Ostrodumov : زميل له في الجماعة السرية . وطالب بالجامعة

ماشورينا Mashurina : مولدة قانونية . وطالبة طب . قيعة الشكل . ثورية متحمسة ، من أنصار العنف . فقيرة ، حاقدة على الدنيا والمجتمع
باكلىن Paklin : شاب ثوري أعرج فقير يحول أختاً حبيباً . عضو في الجماعة السرية . طبيب القلب ، غلص ، مرح

سيبياجين Sipagin : سياسي كبير . واسع الثراء ، وسيم أنيق ، يملك قصراً وضعة في الرف

فالتينا ميهايلوفنا Valentina Mikhailovna : زوجة سيبياجين . حسناء بارعة الجمال ذكية . تحسن استخدام فتتها في اخضاع الشبان لجمالها . ولكنها باردة القلب قاسية

ماريانا Mariana : ابنة أخت سيبياجين . صريحة وثائرة . والدها جنرال سابق اختلس ونفى الى سيبيريا وجرده من رتبته و ثروته . يريها سيبياجين

كولوميتزيف Kolomietsov : مراب يزعم أنه أرسقراطى . جار في الضيعة لآل سيبياجين . رجى متطرف . شديد الحماسة للعنف ضد التقدميين

سولومين Solomin : مهندس ومدبر مصنع . ثوري ولكنه هادئ الأعصاب جداً ، وواقى بنفسه في تزفغ وتواضع في آن واحد

ماركيولوف Markelov : شقيق فالتينا ميهايلوفنا . ضابط سابق . حاقد على المجتمع والدولة لطرده من الجيش . وعضو في الجمعية الثورية . مندفع وضيق الأفق

هذه الأرض العذراء

«يا من تريد قلبها الأرض
المملوءة .. عليك حتما أن
تستعين بمحراث عميق الخد ،
ينغمس جيما في باطنها ،
لا بمحراث قليل الفسور ،
لا يتجاوز جهده سطحها
الظاهري ... »

(من كتاب في الزراعة)

امراة تدخن

كان اليوم من أيام ربيع سنة ١٨٦٨ حينما صعد شاب في السابعة والعشرين من عمره سلم منزل يرتفع خمس طبقات بشارع الضباط في بترسبورج ، ثم دق جرس باب مفتوح بالطابق الخامس ، ودخله دون استئذان ، ونادى في دهليز ضيق معتم :

— هل نجدانوف في البيت ؟

فأجابته صوت في مثل خشونة صوته ، إلا أنه صوت امرأة ، أتاه من الحجرة المتصلة بذلك الدهليز الذي كان يقف فيه :

— كلا . ليس في الدار . ولست موجودة . ادخل

فسأل القادم مرة أخرى وهو في مكانه :

— هل أنت ماشورينا ؟

— نعم أنا . هل أنت استرودوموف ؟

فأجابها وهو يدخل الحجرة وينزع وقاء الثلج بعناية عن قدميه :

— أجل ، عيني استرودوموف

ثم علق معطفه الرث فوق مشابح (هو في الواقع مسمار كبير) على جدار الحجرة التي كان يصدر عنها صوت امرأة

وكانت هذه الحجرة ضيقة يتقيد بها النظام والأناقة . أما حيطانها فكانت

خضراء باهتة ، تضيئها اضاءة ردية نافذتان تراكم على رجاكما التراب !

ولم يكن الأثاث كله سوى سرير متواضع يختصر من الحديد يقوم في ركن

منها ، أما وسط الغرفة فتحته مائدة من حولها بضعة كراسي . وهناك أيضاً

خزانة كتب تراكت فيها مجلدات مختلطة

وإلى تلك المائدة الوسطى جلست امرأة في نحو الثلاثين من عمرها ، عارية

الرأس ، ملتفة في ثوب من قماش أسود ، وكانت ... تدخن سيجارة

وما أن وقع نظر المرأة على استرودوموف حتى مدت إليه يداً عرضة حمراء اللون من غير أن تتطرق بكلمة ، فهز يدها من غير أن يقول شيئاً كذلك . ثم ألقت بنفسه في كرسي واستخرج من جيبه الحار جي سيجارة نصف مكسورة ، وقدمت إليهما مشورينا شطعة ، وبعد ذلك شرعاً ينفثان معاً سحباً طويلة زرقاء في جو الغرفة الممتلئ للمشحون كما هو بالدخان ، من غير أن يتبادلا كلمة واحدة ، بل من غير أن ينظر أحدهما إلى الآخر

وكان بين هذين اللدخين وجه من وجوه الشبه ، مع أن ملاحظتهما لم تكن متائلة إطلاقاً . ففي هاتين السحتين المتخشنتين ، بشفاهماما التليظة ، وأسنانهما ، وأفضهما (بل إن أنف استرودوموف كانت تحمل آثار الجدرى أيضاً) كنت تستشف ارادة وعزماً ومثابة وسأل استرودوموف أخيراً :

— هل رأيت نجدانوف ؟

— نعم . وسيعود فوراً . فقد ذهب إلى المكتبة ييضة كتب

فثلث استرودوموف حوله ثم قال :

— لماذا أراه كثير التحرك دائماً في هذه الأيام ؟ لم يعد في استطاعة الانسان

أن يضع يده عليه

فتاولت ماشورينا سيجارة أخرى ، وقالت وهي تشعلها بعناية :

— لأنه يشعر بالسأم

فقال استرودوموف في تأنيب :

— يشعر بالسأم ! ما هذا الدلع ؟ ان من يسمع هذا يظن أنه ليس لدينا

عمل نقوم به . والسما وحدها تعلم كيف يمكننا أن نهض بما علينا . وهو يشكو مع هذا من السأم !

فسأله ماشورينا بعد برهة صمت :

— هل أتت أنباء من موسكو ؟

— نعم جاءني خطاب منذ ثلاثة أيام

— وهل قرأته ؟

فهز استرودوموف رأسه مجيباً في صمت ، قالت :

— حسناً ؟ وما هي الأخبار ؟

— يجب أن يذهب بضنا إلى هناك بسرعة
فرزعت ماشورينا السجارة من فمها وسألته :

— لكن لماذا ؟ أنهم يقولون إن كل شيء يجري هناك على ما يرام
— نعم . الأمر كذلك . بيد أنه قد اضح أخيراً إن رجلاً قد ثبت عدم
جدارته بالثقة ، ويجب التخلص منه . وفوق هذا توجد مسائل أخرى . وهم
يريدون منك أنت أن تأتي أيضاً
— هل قالوا ذلك في الخطاب ؟

— نعم . نعم

فهزت ماشورينا إلى الراء شعرها الثقيل الذى كان مقصوفاً من الخلف ،
ولكن يتدلى من الأمام فوق حاجبها ، وقالت :

— مادام الأمر قد تقرر فلا محل للكلام
— طبعاً لا محل . وكل ما هناك إن المرء لا يمكن أن يصنع شيئاً بغير تقود .
ومن أين لنا أن نحصل عليها ؟

فأخذت ماشورينا تفكر ، ثم قالت بصوت خفيض كأنما تحدث نفسها :

— على نجدانوف أن يدبر المال
— وهذا بالضبط ما أتيت بسببه
فسألته ماشورينا فجأة :

— هل معك الخطاب ؟

— نعم . آتجيب أن تريه ؟

— أريد ذلك . ولكن لا بأس ، ففى استطاعتنا أن نقرأه مما بعد قليل
فزجر استرودوموف وهو يجيبها :

— لا حاجة بك أن تشكى فيما أقول . فقد أخبرتك بالحقيقة
— لم يخافرنى الشك على الإطلاق

ثم كف كلاهما عن الحديث . وعادت سحب الدخان تنطلق من فمهما فى
صمت ، مثل ذى قبل وتتقد يبطه فوق رأسيهما للشعنين
ثم سمعت أصوات أقدام فى الدهليز ، فهمست ماشورينا :

— ها هوذا نجدانوف ...

واقفتح الباب قليلاً ، ثم أطل من فرجه رأس ، لكنه لم يكن رأس نجدانوف

كان رأساً مستديراً ذا شعر أسود خشن وجبهة عريضة متضخمة . أما عيناه
البنيتا اللون فكانتا تلمعان تحت حاجبيه اللطيفين على جانبي أنفه الكبير وفمه
الذي يبعث وضحه على الضحك

وبدا رأسه المستدير في تلك اللحظة باسماً عن صفين من أسنان صغيرة
بيضاء . ثم تقدمت الرأس فدخلت الحجرة ومعها جسدها الضئيل بذراعيه
القصيرتين وساقيه للموجتين اللتين تعرجان قليلاً

وبعجده أن وقع نظر ماشورينا واسترودوموف على هذا الرأس بدت على
وجهها أمارات الازدراء والتعالي . وكأنهما يحدثان نفسيهما بثقل ظله . يد
أن أي واحد منهما لم ينبس بكلمة

ولم يؤخذ الضيف القادم بسوء هذا الاستقبال إطلاقاً . بل يبدو على العكس
أنه أدخل السرور على نفسه . ثم سأل بصوت كأنه الصرير :

— مامنى هذا ؟ عزف ثنائى ؟ ولماذا لا يكون ثلاثياً ؟ وأين المغنى الأول ؟

فسأله استرودوموف بكل جد :

— أتعنى أين نجداتوف يامستر باكلين ؟

— أجل يامستر استرودوموف

— سيعود حالاً يامستر باكلين

— بسرني أن أسمع هذا يامستر استرودوموف

ثم التفت الأعرج الضئيل الى ماشورينا ، قطبت جبينها ثم استأثفت فث
سيجارتها على سنجيتها

— كيف حالك يا عزيزتى ... يا عزيزتى ... آسف جداً ! انى أنسى دائماً

اسمك الأول وكذلك اسم السيد الوالد

فهزت ماشورينا كتفها ثم قالت :

— لا حاجة بك أن تعرف أيهما ، فأنت فيما أظن تعرف لقي . فلماذا تريد

أكثر من ذلك ؟ ولماذا تصر على أن تسألنى باستمرار عن أحوالى ؟ فأنت ترى
جنيك اننى ملازمت فى عالم الأحياء !

فهتف باكلين وقد تقلص وجهه بصية :

== طبعاً ! فلو أنك كنت فى مكان آخر ، لما أتيتح لحادملك للتواضع أن

يحظى برؤياك هنا ، وأن يتحدث اليك ! إن حبي للاستطلاع مرجعه إلى عادة

عتيقة سيئة . ولكن جدد اسمك ، أرى من غير المستغاب بوجه من الوجوه
أن يناديك الانسان بكلمة ماشورينا غيب . وأنا طبعا أعلم انك حتى في
خطاباتك لا توقمين اسمك إلا بكلمة بونابارت ! عفوك ! أعنى ماشورينا ،
ولكن أثناء الحديث ..

— ومن الذى طلب منك أن تحدثنى ؟

فأطلق باكليين ضحكة عصبية وقال :

— لا بأس يا عزيزى . أعطنى يدك ولا تنضبى . أنا أعلم انك لا تصدين
شراً . وكنذك أنا ... حسناً ؟

ومد باكليين يده . فرمقته ماشورينا بشدة ثم مدت يدها ، وقالت له باللهجة
القاسية التى عبر عنها وجهها :

— إن كنت تريد حقاً أن تعرف اسمى . فأنا أدعى فيكلا

فقال استرودوموف بصوته العميق :

— وأنا (بقصد توفير الاجراءات) اسمى يمين

— يالها من معلومات ! والآن خبرينى يا فيكلا . وأنت يا يمين . لماذا تبديان

لى النفور ، وبإصرار ، عند ما ...

فقاطعه استرودوموف قائلاً :

— ان ماشورينا تعتقد ، وليست ماشورينا وحدها فى هذا الاعتقاد ،

انك غير جدير بالاعتماد عليك . لأنك تضحك دائماً على كل شىء .

فدار باكليين على عقيبه دورة كاملة وصاح :

— هذا هو الخطأ للألوف الذى ينزلق فيه الناس بخصوصى يا عزيزى يمين !

فأنا أولاً لا أضحك دائماً . وحتى لو كنت أضحك دائماً ، فليس هذا سبباً لكيلا

تتقوا بى . وأنا ثانياً سبق أن تحمت بشفتكم فى أكثر من مناسبة قبل الآن .

وهذا دليل قاطع على أنى جدير بالثقة . فأنا رجل مخلص يا عزيزى يمين

فسمح استرودوموف شيئاً بين أسنانه غير مسموع ، يد ان باكليين استطرد

من غير أن يبدو على وجهه أى أثر للابتسالم :

— كلا . أنا لا أضحك فى جميع الأوقات ! أنا لست أخا مرح . ولمعليك

إلا أن تنظر إلى وجهى لتعرف صدق قولى !

فنظر اليه استرودوموف . والواقع ان باكليين حيناً لا يكون ضاحكاً ، وحين

يصمت عن الكلام ، تبدو سحته ناطقة بالأسى بل تكاد تنطق بالعرب . فلا يبدو مضحكا ومتكماً إلا حين يفتح شفته

ومع هذا لم يطلق استرودوموف بكلمة . والتفت باكلين الى ماشورينا ثانية :
— وكيف حال دراساك ؟ هل أحرزت شيئاً من التقدم حقيقة في فن العمل الجبرى الذى تخصصت فيه ؟ وهل من الصعب جداً حقاً أن تساعد مواطني غفلا من التجربة والحبرة على أن يبرز إلى هذا العالم لأول مرة ؟ فأجابته ماشورينا بإسماة الراضية عن نفسها قائلة :

— ليس في ذلك صعوبة على الإطلاق ان اتفقه ألا يزيد حجمه على حجمك ! وكانت ماشورينا قد أدت أخيراً امتحان المولدات . وهى سليقة أسرة أرستقراطية فقيرة . وقد تركت مسقط رأسها في جنوب روسيا منذ نحو سنتين وليس في جيبها أكثر من ستين قرشا ، فلما وصلت إلى موسكو دخلت معهداً للتوليد وبذلت جهداً كبيراً جداً للحصول على الشهادة المطلوبة . إنها غير متزوجة وعفيفة جداً . وقد علق بعض الحبناء على طهارة ذيلها بقوله :

— لا عجب !...

استناداً إلى شكلها القبيح ولكننا نسمع لأنفسنا أن نقول عن تلك الصفة التى توافرت فيها أنها رائحة وناذرة

وقد ضحك باكلين من ردها اللاذع وقال لها :

— مرحى يا عزيزتى ! لقد سحتنى ! ولكن الذنب ذنبى ، فمن الذى قال لى أن أخلق هكذا قرماً ؟ وإنى لأعجب أين ذهب رب الدار ؟

وهكذا غير باكلين موضوع الحديث الذى كان يؤله جداً . فهو لم يستطع رياضة نفسه على استساغة قصر قائمته أو النقصان العام في تكوينه . وكان شعوره شديداً على الخصوص لأنه كان شديد الاقتان بالنساء ، وكان مستمداً للتضحية بأى شيء كي يبدو جذاباً في نظرهن

ان شعوره بزاوية مظهره كان أشد إيلاماً له من وضاعة أصله أو هوان مركزه في المجتمع . ان والده قد بدد بأدمان الثراب في أواخر حياته كل ما جمعه بوسائل معظمها غير مشروع في دوائر المحاكم . وهكذا وجد ابن شمشون (فهذا هو الاسم للضحك الذى قيد به في شهادة الميلاد) نفسه شبه معدم عند وفاة أبيه . وأفاده التعليم في مدرسة التجارة معرفة طيبة باللغة الألمانية . فالتحق

بوظيفة كتابية مرتبها خمسمائة روبل في السنة عليه أن يعيش منها ويوصل عمه
مقعدة وأختا حدياء !

وفي الوقت الذي بدأت فيه قصتنا كان باكلين في الثامنة والعشرين ، له
عدد كبير من الأصقاء من بين الطلاب والشباب الذين يحبونه لروحه الساخرة
ولدعائه البريئة . وإن كانوا أحياناً يهاجمونه بقسوة لاطلاعه الواسع في جانب
واحد من جوانب الآراء والمذاهب الفكرية
وعاد يستبطن قنوم نجدانوف :

— ما أكثر قلقه في المدة الأخيرة ! عسى ألا يكون عاشقاً !
فزعجرت ماشورينا قائلة :

— لقد ذهب الى المكتبة . أما الحب فلا وقته يسمع ولا الفرصة تسنح
— أريد أن أراه لأحدث اليه في أمر هام من أمورنا المشتركة . . .
وصاحت ماشورينا فجأة وقد تملقت عينها بالباب وأشرقنا بشمع داخل
أكسهما رقة وحرارة وعذوبة :
— هاهو ذا نجدانوف !

وافتح الباب . وكان الداخل في هذه المرة شاباً في الثالثة والعشرين
يتأبط حزمة من الكتب . وكان هو نجدانوف بعينه



نجدانوف

لما لمح نجدانوف الزائرين في حجرته وقف في فرجة الباب وأجال فيهما بصره ، ثم قذف بقبعته بعيداً ، وأسقط الكب على الأرض ، وسار الى القرائش حيث جلس على حافته ، وطاقف بوجهه الشاحب الوسيم تبصير يدل على الضيق والاستياء . وبدأ وجهه أشد شحوباً من حقيقته ، بالقياس الى شعره الأحمر القاتم التموج .
وأشاحت ماشورينا عن هذا المنظر بعينها ، وعضت شفتها أما استرودوموف فانه غغم :
— وأخيراً . . !

وكان باكلين أول من اقترب منه ، وخاطبه قائلاً :
— ماذا جرى يا ألكساي ديمتريتش ، يا همليت الروسية ؟ ! هل حدث شيء ؟ أم كل ما هناك أنك تشعر بثبوت المهمة عموماً ، وبغير سبب خاص ؟
فصاح به نجدانوف محتدماً :
— كف عن هذا يا مفيتوفوليس الروسية ! (وهذا من أسماء الشيطان الشهيرة وهو الشخصية التي اشترت من فاوست روحه في رواية جيته الخالصة)
فلست في حالة تسمح لي بأن أترشق معك بالنكات في الوقت الحاضر — أعصابك مضطربة . أم لعل شيئاً حدث فعلاً ؟
— لا شيء على وجه التخصيص سوى أنه بات من المستحيل أن يطل الانسان بأفقه في هذه البلدة الكريهة من غير أن يصدم بشيء من السوقية أو القباء أو الظالم . لقد أصبحت الحياة هنا لا تطاق بعد اليوم !
فسأله استرودوموف :

— ألهذا السبب ورد في إعلانك الذي نشرته الصحف أنك تبحث عن عمل وليس لديك أى مانع من مغادرة بطرسبورج ؟

— نعم . فاني أرحب بالرحيل من هنا بخاية السرور ، إن وجد ذلك
الأحقق الذي يعرض على عملا عنده ... !
قال باكلين :

— ولكن هل حقاً لم تسمع أبناء سيئة ؟
قفز نجدانوف من السرير كأنه كرة من اللطاط وصاح بصوت مجلجل :
— وماذا تريد أكثر من ذلك ؟ . إن نصف الروس يمت جوعاً !
وصحيفة أخبار موسكو تريد أن تدخل الدراسات الكلاسيكية . وأما نوادي
مماونة الطلبة فأغلقت . والجواسيس نخدم في كل مكان ، وكذلك الضغط
والأكاذيب والحياة والنش ! وكل هذا لا يكفي ! إنه يريد نبأ جديداً سيئاً !
ويظنني أمزح !

ثم لم يلبث أن أضاف بصوت منخفض قائلاً :
— بازانوف . قبضوا عليه . سمعت ذلك في المكتبة
فرفت ماشورينا واسترودوموف رأسهما في وقت واحد . واستطرد
نجدانوف :

— لست أحدى من الذى وثى يازانوف ..
— صديق له ولا ريب . فالأصدقاء مشهورون بهذا ...
— أما استرودوموف فتبادل نظرة مع ماشورينا ثم قال بصوته المميق :
— لقد وصل خطاب من موسكو . من غاسيلي نيقولايفتش
فاضطرب نجدانوف قليلا وغمض بصره ثم سأل :
— وماذا يقول ؟

فأجابه استرودوموف وهو يشير الى ماشورينا بعينه :
— يريدنا أن نذهب الى هناك معها
— أيريدونها هي أيضاً ؟ ..

— نعم .. نعم ..

— وما وجه الصعوبة ؟ ..

— التقود طبعاً ...

قهض نجدانوف عن الفراش وأتجه الى النافذة ثم سأل :
— وكم تريدان ؟

— لا أقل من خمسين روبلا . . .

فصمت نجدانوف قليلا . ثم همس وهو ينقر على زجاج النافذة :

— لا توجد معي نقود في الوقت الحاضر . ولكن يمكننى أن أحصل على شيء منها . فكيف وصل إليك الخطاب يا استرودوموف ؟
فصمت استرودوموف ، وظهر عليه التردد في الجواب
فأجاب باكلين :

— لماذا تحاولون إخفاء الأمور عني ؟ أليست جديراً بفتحكم ؟ وبفرض أنني لا أوافقكم كل اللواقة فيما تحلولونه ، هل تظنون لحظة واحدة أنني يمكن أن أشتى بكم وأشتى سركم ؟
فأجابه استرودوموف قائلا :

— ربما أفشيت السر عن غير قصد

— لا بقصد ولا عن غير قصد . كل ما هناك أن الدوق يتفحصكم . ولا قدرة لديكم على تمييز أصدقائكم الحقيقيين . انكم مثلا في حاجة الى المال . وليس لدى نجدانوف شيء منه . وفي استطاعتي أنا أن أجد لكم هذا المال
فالتفت نجدانوف من ناحية النافذة وقال :

— كلا كلا . لا ضرورة لهذا . لأنني أستطيع الحصول على النقود . سأسحب جزءاً من خصصاتي مقدماً . والآن فلننظر في الخطاب يا استرودوموف
وظل استرودوموف ساكناً برهة . ثم نظر فيما حوله ووقف ثم انحنى وشمر أحد ساقى سرواله واستخرج بناية ورقة زرقاء من عنق حذائه الطويل ، ونفخ فيها لسبب غير ظاهر ثم سلها الى نجدانوف الذي تناولها وبسطها وقرأها بناية ثم قلبها الى ماشورينا ، فوقت وقرأتها كذلك ثم ردها الى نجدانوف مع أن باكلين كان قد بسط إليها يده ليأخذها . فhez نجدانوف كفضه ثم أعطى الخطاب السرى لباكلين الذي قرأ الخطاب ثم زم شفثيه ووضع فوق المائدة وعندئذ أشعل استرودوموف عود قباب كبير تفوح منه رائحة كبريت نقاذة ، ورفع الخطاب فوق رأسه ليراه الحاضرون جميعاً . ثم أشعل فيه النار وألقى الرماد في اللدقاة . ولم يتحرك أحد أو ينطق بكلمة أثناء هذه العملية ، بل كانت عيونهم جميعاً شاخصة الى الأرض

وانقضت دقيقتان على هذا النحو ، شعر فهما كل واحد بعدم ارتياح ، الى

أن هتك باكلين حجاب الصمت قائلا :

— والآن ؟ هل في النية قبول تضحيتي التي أقدمها على مذبح الوطن ؟ هل يسمح لي أن آتي إن لم يكن بالبلغ كله فخمسة وعشرين روبلا من أجل القضية العامة ؟

وعندئذ انفجر نيجدانوف الذي يبدو أن ضيقه كان يلتبس فرصة للاندلاع :
— قلت لك إنني لا أريد نقوداً . قلت لك هذا . لا أريد . لا أريد أن أسمع بهذا ولن آخذها منك ! سأحصل على الببلغ المطلوب فوراً ولست بحاجة إلى معونة أحد ؟

— أراك يا عزيزي لست ديموقراطياً مع أنك توري :

— ولماذا لا تقول باختصار إنني أرسقراطي ؟

— وكذلك أنت فعلا إلى حد ما

فضحك نيجدانوف ضحكة مفتضة وقال :

— أراك تلجأ إلى أنني ابن غير شرعي . وفي استطاعتك أن توفر على

نفسك مجهود التلميح يا صاحبي . فلست حرياً أن أنسى هذا

فطوح باكلين ذراعيه يائساً وقال :

— ماذا دهاك يا ألبوشا ؟ كيف أمكنك أن تتلوى بكلماتي على هذا النحو ؟

أكاد لا أعرفك اليوم لما عراك من التغير . إن القبض على بازانوف أزعجك .

ولكنه كان شديد الإهمال قليل الحرص والحذر ... وكان عليه أن يداري

آراءه محافظة على زملائه الذين يخشى الآن أن يجرم وراءه .

فصرخ استروودوموف قائلا :

— من قال لك هذا ؟ إن بازانوف على خلق ولين يشي بأحد . ثم لانس

أنه ليس في مقدور كل واحد أن يلتزم الحذر يا مستر باكلين

واستاء باكلين وهم أن يقول شيئاً لولا أن نيجدانوف قاطعه قائلا :

— أقترح أن تترك السياسة جانباً في الوقت الحاضر

فساد الصمت ، إلى أن قطعه باكلين أيضاً بقوله :

— لقد التفتت اليوم بالنقاد العظيم اسكورويكيين . ووجدته كعادته يظلي

بالحاسة . انه انسان خطر على من يتصلون به من الشباب . إن هذا الرجل

ينادي أن أي عمل فني قديم لا قيمة له مجرد أنه قديم . ولو سلمنا بهذا لاحتلبت

الفنون نوعاً من موصات الأزياء . وبهذا يفقد الفن خلوه ولا تصبح له
غائمة . فلماذا نعمل ذلك بالفن مع أننا لا تناقش مبادئ الرياضة مهما كانت
عتيقة ؟

ولم يتلق باكلين رداً على سؤاله . لأن الباقيين أطبقوا أقوالهم في إصرار ،
قال :

— أتم قوم لا غائمة فيهم . ومن الخير لي أن أنصرف
وتناول قبعته ، ثم توقف عن الانصراف لأن صوتاً عميقاً مع في الدهليز .
وكان هذا الصوت ينم عن لطف وتهذيب وتريه حسنة . .

— هل المستر نجدانوف في البيت ؟
فتبادل الجميع نظرات الدهشة . وتكرر السؤال كله باللهجة العذبة نفسها .
وعندئذ انبرى نجدانوف للإجابة قائلاً :

— نعم . موجود
فاقتح الباب برقة . ودخل منه رجل في نحو الأربعين من عمره . ثم نزع
قبعته عن رأسه الجميل المقصوص الشعر حديثاً
وكان الرجل طويل القامة ، وثيق التركيب ، وسما ، يرتدى معطفاً جميلاً
من القماش له ياقة هائلة من الفراء ، مع أن الوقت كان أواخر شهر إبريل
ووقعت أناته وقامته وحسن سمته وأدب سلوكه موقفاً قويا من نجدانوف
وباكلين ، ثم من ماشورينا واسترودوموف على ما فيهما من مقاومة لكل هذه
التأثيرات ، فإذا بهم جميعاً ينهضون وقوفاً لدخوله



وطيفة جديدة

اتجه هذا الرجل الأنيق المظهر نحو نجدانوف بابتسامة ودية وقال :
— لقد حظيت من قبل بمقابلتك ، بل وبالتحدث اليك يا مستر نجدانوف
أول أمس ، إن كنت تذكر ، في السرح
وتوقف الزائر عن الكلام ، وكأنه ينتظر من نجدانوف أن يخلق بكلمة ،
يبد أن نجدانوف اكتفى بالانحناء قليلا وقد تضرع وجهه بالحمرة . فاستطرد
الزائر :

— لقد أتيت لزيارتك بصدإعلانك الذي استلفت نظري في الصحف .
وأود أن نتحدث معاً في هذا الموضوع إن لم يكن عند ضيوفك مانع
وانغني لماشورينا ، ثم أوماً بيده التلطفة بقفاز رمادي في اتجاه باكلين
واستردودوموف ، فأجابه نجدانوف بشيء من الارتباك :
— على الإطلاق . هلا جلست ؟

فانحنى الزائر ، ثم جذب لنفسه كرسيًا ، يبد أنه لم يجلس لأنه وجد جميع
الآخرين وقوفًا . بل نظر في أرجاء الغرفة بمبينة التألقين وإن كانتا نصف
مغمضتين . فصاحت ماشورينا فجأة :

— الى اللقاء يا ألكساي ديمتريتش سأعود قريباً
وقال استردودوموف :
— وأنا كذلك ...

ولم تمر ماشورينا الزائر أي الثفات عندما مرت به ، بل انجذبت مباشرة
الى نجدانوف فهزت يده بحرارة ثم غادرت الحجرة من غير أن تنحنى لأحد .
وتبعها استردودوموف محدثاً في مشيته ضجة بجذائه لضرورة لها
وشيعهما الزائر بنظرة مهذبة وإن كانت تم عن استطلاع يسير وبعد
ذلك وجه نظره الى باكلين ، على أمل أن يقتني أثر صاحبه . يبد أن باكلين

انسحب الى ركن واستقر فيه وكانت تداعب شفثيه ابتسامة غامضة مكتومة منذ ظهر هذا التريب . وجلس الزائر ونجدانوف معاً ثم قال الزائر بزهو كالتواضع :

— اسمى سيياجين . ولعلك قد سمعت بي !

وهنا يجب أولاً أن نروى كيف التقى به نجدانوف في المسرح
كانت الرواية التي تمثل من تأليف استروفسكى وعنوانها « إياك أن تجلس في زحافة سواك » وذلك بمناسبة قدوم الممثل العظيم سادوفسكى من موسكو . ومن المعروف أن دور « روزا كوف » في هذه الرواية من أحب الأدوار التي يقوم بها هذا الممثل العظيم . وقبل الغداء في ذلك اليوم مباشرة توجه نجدانوف الى المسرح ليحجز تذكرة ، فوجد زحماً عظيماً أمام الشباك . ولما توجه الى عامل التذاكر وفي نيته أن يحصل على مكان في أعلى التياترو ، اذا بضابط كان يقف وراءه يلقى من فوق رأس نجدانوف بورقة قيمتها ثلاث روبلات ويصيح بالرجل :

— إن هذا السيد (يعنى نجدانوف) ربما احتاج الى فكة أما أنا فلا أريد الباقي . فأعطنى تذكرة في مقاعد الأوركسترا من فضلك ، وأسرع لأنى متجمل !

فإذا نجدانوف يصيح أيضاً فجأة :

— عفوك ياسيدى . أما أريد لنفسى تذكرة في مقاعد الأوركسترا !
ثم قذف الى الرجل بثلاثة روبلات ، هى كل ما كان يملكه من النقود .
ثم أخذ التذكرة ووجد نفسه في النساء يحتل مكاناً في الحلقة الارستقراطية بالمسرح

كان زرى الثياب ، لا يرتدى قفازاً ، وحذاءه قذر . كان غير مستريح وساخطاً على نفسه لعدم شعوره بالراحة في ذلك الموضع

وكان يجلس عن يمينه جنرال تلمع فوق صدره كية كبيرة من النياشين والأوسمة ، أما عن يساره فكان هذا الأنقى سيياجين بينه وبين الذى كان ظهوره بحد يومين في حجرة نجدانوف مبعثاً لهشة كبيرة لدى ماشورينا واسترودوموف

وكان السيد الجنرال يحملي في نجدانوف بين لحظة وأخرى ، كما يحق

الانسان في شيء غير مستحب ، موجود في غير موضعه بحيث يثير الاستياء .
أما سيباجين فكان ينظر اليه من جانب عينه . يد أن نظراته لم تكن دالة
على العداء والنفور

ولارب أن جميع المحيطين به كانوا من الشخصيات التي يقام لها وزن .
ولما كانوا جميعاً يعرفون بعضهم بعضاً ، قد أخذوا يتبادلون الملاحظات
والتعليقات والتحيات ، ويتقاذفون ذلك كله من فوق رأس نجدانوف الساكن
كالصم ، وقد انكشف في القعد الواسع وازداد شعوره بأنه منبوذ . ولم يجد
في تمثيل سادوفسكي ولا في تأليف استروفسكي إلا لغة يسيرة ، وشعر بالمرارة
ترسخ في فؤاده ، الى أن حدث فجأة أن جاره من جهة اليسار وجه اليه
- وبيا للعجب ! - في أثناء فترة الاستراحة الحديث في أدب ورقة وبشئ من
الحجل . سأله عن رأيه في الرواية باعتباره ممثلاً لشاب من الجيل الجديد

وشعر نجدانوف بقلبه يدق في صدره بسرعة ، واستولى عليه الارتباك ،
يد أنه تغلب على ذلك الاحساس وأفاض في شرح وجهة نظره ، فجرفه
الموضوع ورفع صوته بالكلام لدرجة أزجعت الجنرال الجالس عن يمينه . إلا
أن محدثه كان يصغي اليه بانتباه واهتمام وأدب . وفي الاستراحة التالية تحدث
اليه مرة أخرى . لا عن الرواية ، بل عن أمور عامة في الحياة والعلم والسياسة
وبعد انتهاء التمثيل استأذن سيباجين من نجدانوف بكل أدب ولكن
من غير أن يقدم اليه اسمه أو يسأله عن اسمه وفيما هو ينتظر عربة التي
مصادفة بصديق له هو الأمير ج . الياور القيصري الذي قال له بصوت كان
يخرج من خلال شارب العطر الضخم :

— كنت أرقبك من خلال مقصورتى . أتدرى الى من كنت تتحدث ؟

— كلا . أتعرفه أنت ؟ إنه شاب ذكي . من هو ؟

فقال الأمير فوق أذنه وهمس بالقرنية :

— إنه أخ لى . . . غير شرعى طبعاً . . . اسمه نجدانوف . وسأروى لك

كل شيء عنه يوماً ما . ولم يكن والدى يتوقع أن يرزق به . لهذا سماه نجدانوف
(ومعناه في اللغة الروسية غير المنتظر) إلا أنه شمله برعايته كما يجب ، وأوقف
له محصلات يعيش منها على نحو ما . وهو ليس غنياً ، وقد تلقى تعليماً جيداً
والفضل في هذا لأبي . إلا أنه ضل الطريق ، وأظنه الآن في عداد الجمهوريين .

إنه شخص لا يطاق . الى اللقاء . فهذه عريتي
وفي اليوم التالي وقع نظر سيياجين على إعلان نجدانوف في الصحف
وذهب لزيارته . ومن هنا نستأنف سرد ما حدث في هذه الزيارة



قال سيياجين وهو يقف يتفحص نجدانوف في وقار :
— رأيت في إعلانك أنك تبحث عن وظيفة . وأحب أن أعلم إن كنت
تقبل أن تأتي معي . فاني متزوج وعندي ابن في الثامنة وهو طفل ذكي جداً .
ونحن في العادة نقضي الصيف والحريف في الريف بولاية س . على مسافة
خمس أميال من المدينة التي تحمل هذا الاسم . وأود أن تأتي لتقيم معنا مدة
العطلة كي تعلم ابني التاريخ الروسى والنحو . وأظن أن هذين هما الموضوعان
الذيان ذكرتهما في إعلانك . وأعتقد أنك ستستريح للاقامة معنا وستحب
تلك البقعة . فلنا هناك بيت كبير وحديقة ، والجورائع ، وبالقرب منا نهر .
فهل تحب أن تأتي ؟ ولا أعتقد أن الاتفاق اللادى سيكون عبء علينا

وظل نجدانوف يرقب سيياجين وهو يتكلم ، فلاحظ حضر رأسه المائل
قليلا الى أحد الجانبين ، وضيق جبينه الذى لا يخلو من ذكاء ، وأنتبه الرومانى
الدقيق ، وعينه اللطيفتين ، وشفته المستقيمتين اللتين كان ينساب الكلام
منهما في رشاقة ، وكان نجدانوف يحدث نفسه :

— ما معنى هذا ؟ لماذا حضر هذا الرجل للبحث عني ؟ ماهو وجه الشبه
بينى وبين هذا الأرستقراطى ؟ ماذا يريد منى ؟

وكان هذا التفكير يستغرقه بحيث لم يبادر للجواب عند ما فرغ سيياجين
من كلامه وانتظر جوابه . فالتفت الى الركن الذى يجلس فيه باكلين وظن ان
وجوده هو الذى يمنع نجدانوف من الجواب ، فرفع حاجبيه وكرر السؤال ،
فاتبته نجدانوف وقد أخذ على غرة ، وأسرع يقول :

— طبعاً أحب .. بكل سرور .. ولكننى أريد أن أعترف .. اننى حقيقة
دهشت ، لأنه ليست عندى توصيات كما هو مألوف

— أنت عظمى يا عزيزى . فأنا معروف بأرائى التقدمية . ثم ان حديثنا
تلك الليلة جعلنى أعجب بك . فنحن فيما عدا روح التطرف التى يتميز بها الشباب
تتفق فى كثير من وجهات النظر . وقد راقى لى حماسك

وكان سيياجين يتحدث من غير تردد ، والكلمات تفيض منه كالجدول
التدفق ، ثم استطرد بعد برهة :

— أما زوجتي فتشاركني في تكبري . بل إن آراءها أشبه بآرائك منها
بآرائي . وليس هذا غريباً لأنها أصغر مني سنّاً بكثير . وعندما طالعت اسمك
في الصحيفة غداة مقابلتنا ووجدت اسمك وعنوانك على غير المألوف في هذه
الاعلانات أدهشتني هذه المصادفة ، بعد أن سمعت اسمك في السرح . وخيل إلي
أنني ألح أصعب القدر . وأرجو أن تخبرني هذا الاعتقاد الخرافي . وأما عن
التركيّات فلا أظنها ضرورية في هذه الحالة . فأنا أميل إليك ، وقد تمودت أن
أثق بإحساسي الداخلي . فهل لي أن أطمع في قبورك ؟

— أجل . سأتي معك . وسأجهد أن أكون جديراً بثقتك . ولكن
هناك شيئاً واحداً أحب أن أوضحه . في مقدوري أن أقوم بتعليم ابنك . ولكنني
لست مستعداً أن أقوم برعايته . لأنني لأريد أن أتورط في أي شيء يمكن أن
ينال من خريقتي الثمينة ...

فأشاح سيياجين يده في حركة هينة كن يطرده ذبابة وقال :
— لك أن تطمئن من هذه الوجهة . فهذه ليست طريقتنا . كل ما أريده
منك أن تكون مؤدباً لابني لا مربية . والآن لتكلم في اللادة الحظيرة !
ولم يدر نجدانوف ماذا يقول فسكت !

ومال سيياجين إلى الأمام ثم لمس نجدانوف بأطراف أصابعه وقال :
— أعتقد أن خيار الناس يسوون هذه للسائل في كلتين . سأعطيك مائة
روبل في الشهر وجميع نفقات السفر . فهل تقبل ؟

فاحمر وجه نجدانوف وقال :
— هذا أكثر مما كنت أتوى أن أطلب .. لأنني كنت ..

فقاطعه سيياجين قائلاً :

— إذن سأعتبر أننا اتفقنا . وانتك منذ الآن من أعضاء البيت
ثم نهض من مقعده وقد بدا عليه للرح والاستبشار وكأنه تلقى هدية سنية ،
وأطلق لمرحه الصنان وهو يقول له :

— سنسافر بعد يوم أو يومين . فلست أحب شيئاً كاستقبال الريح في
الرف . مع أنني كثير المشاغل في المدينة .. وأرجو منك أن تعتبر أن شهرتك

الأول ابتدأ اليوم . وقد سافرت زوجتي وابني وللملها الآن في موسكو .
وسنجدهما في أحضان الطبيعة عند مانصل . أما نحن فسنسافر وحدنا كالعزاب !
وبحركة رشقة استخرج من جيب معطفه حافظة سوداء . مطعمة بالفضة
أخرج منها بطاقة قدمها إلى نجدانوف :

— هذا عنواني . فاحضر لمقابلتي غداً في الساعة الثانية عشرة كي نتحدث
أكثر مما قلنا الآن . وأصارحك ببعض آرائي في الترية . ونحدد أيضاً موعد
سفرنا

وتناول سيياجين يد نجدانوف فأبجأها في يده ، ثم مال وخفض صوته
وقد جعل رأسه إلى أحد جانبيه :

— وبهذه المناسبة ، إن كنت في حاجة إلى نقود أرجو ألا تحتشم مني .
ففي استطاعتي أن أعطيك أجر شهر مقدماً

وحار نجدانوف ماذا يقول ، فنظر في حيرة إلى ذلك الوجه المطوف
الذي يطالعه عن قرب بابتسامة مشجعة

وهمس سيياجين مرة أخرى في

— أأنت في حاجة إلى شيء من النقود ؟

وأخيراً قال نجدانوف بجهد :

— سأخبرك غداً إن كنت بحاجة إلى شيء

فأطلق سيياجين يد نجدانوف واستدار ليخرج وهو يقول :

— حسناً . إلى اللقاء إذن . حتى الغد

وإذا نجدانوف يسأله فجأة :

— أحب أن أعرف من الذي أخبرك باسمي ؟ فقد قلت لي منذ برهة

إنك سمعته في السرح

— شخص معروف لك جيداً . من أقربائك فيما أظن . الأمير ج . . .

— الياور ؟ . . .

— نعم . . .

فاحمر وجه نجدانوف ولم يقل شيئاً . فhez سيياجين يده مرة أخرى من
غير كلام في هذه المرة ، وانحنى له أولاً ثم لباكلين ، ووضع قبعته على رأسه
عند الباب ثم انصرف وعلى وجهه أمارات الرضى عن نفسه

فالتينا الحناء

اتنا الآن في حجرة الجلوس من ذلك البيت الكبير للشيد بالصخر ذى
الواجهة اليونانية ، الذى أقامه في الربع الأول من القرن التاسع عشر والد
سيياجين ، الذى كان من كبار للاك المروفين ، كما كان معروفاً بشيء غير
الثراء أيضاً ، كان معروفاً بتحرره في استخدام قبضته

وفي هذه الحجرة كانت تجلس زوجة سيياجين ، « فالتينا مهايولونا »
وهي في الحقيقة سيدة جميلة جداً ، وقد جلست هناك تتوقع وصول زوجها بين
لحظة وأخرى منذ جاءتها برقية بموعد قدومه

كان كل شيء في الحجرة مساحراً أنيساً ، من الجدران البتنة بالورق الجليل ،
إلى الستائر الثمينة ، والتحف المختلفة الأنواع والأحجام في تناسق بديع : إلى
أشعة شمس مايو التي تتسلل من النوافذ الواسعة المفتوحة ، إلى الهواء الساكن
المحمل بجير زنايق الوادى التي كانت باقات كبيرة منها قد وزعت في أرجاء
الحجرة ، وفي الحين بعد الحين يهب نسيم عليل يأتي من الحديقة الغنية بأزهارها
ورياحينها

يا لها من صورة بديعة ! بل يا لهذا كله من اطار بديع للسيدة فالتينا
مهايولونا سيياجينا ، التي كانت تعطى لكل ماحولها نعمة الحياة ولمسة التميز !
كانت امرأة طويلة القامة في نحو الثلاثين من عمرها ، ذات شعر بني قاتم ،
قحية اللون . أما عيناها فكانتا ذات عمق مخلي عجيب .. وشفتاها الشاجتان
تميلان إلى الامتلاء . وخاصرتها تستلفت النظر بدقتها وهي منحنية تنسم مجموعة
من الزهر كانت تنسقها في زهرية صينية ثمينة ، أو تسوى خصلات شعرها وهي
تبتسم لصورتها في المرآة وقد أسبلت عينيها ، فلا يسع من يراها سوى أن يحزم
أنه ليس في الامكان أن تقع العين على ما هو أشد منها فتنة وسحراً
واندفع الى الحجرة لجأة غلام متموج الشعر في نحو التاسعة من عمره ،

لم يلبث أن وقف جامداً في مكانه حين وقع بصره عليها . وكان يرتدى ملابس
القرصان التي تكشف عن ساقيه ، وقد كثرت في زينتته آثار الأدهنت والمسايق
وسألته فالتفتا مهابلوفنا بصوت يبارى عينيها في النعومة الحملية :
— ماذا تريد يا كوكليا ؟

فصرع الغلام يقول في ارتباك :
— لقد أرسلتني خالتي يا أماء كي آتيا بشيء من زنايق الحقل كي تزين بها
حجرتيها ، لأنها لم تحصل على شيء منها
فوضعت فالتفتا مهابلوفنا يدها تحت ذقن ابنتها الصغير ورفعت رأسه للدهون
بمعجون غزير وقالت له :

— قل لحالتك ان فيوسعها أن تطلب ما تشاء من الأزهار من البستاني .
أما هذه قل أني . ولا أريد أن يلمسها أحد . قل لها انني لأحب أن يعبث أحد
بترتياني . أستطيع أن تعيد عليها ما قلته لك ؟
قال الغلام هامساً :

— نعم أستطيع ...
— أعدده على الآن إذن
— سأقول ... سأقول ... انك لا تريد
فضحكت فالتفتا مهابلوفنا . وكانت ضحكها ناعمة أيضاً ككل ما فيها
— لا يمكن حتى الآن أن نكلفك بتبليغ الرسائل . ولكن لا بأس .
في وسعك أن تقول لها أي شيء يخطر لك

فبادر الغلام يقبل يد أمه للزينة بالجواهر واندفع خارجاً
وتابته فالتفتا مهابلوفنا بنظرها ثم تهبت . ومشت إلى قصص مصنوع
من أسلاك ذهبية ، كان يقف في جانب منه يفاء أخضر اللون وقد تشبث في
عود من أعواد القفص بمخالبه ومتقاربه . فجعلت تماث البيضاء وتضيظه برهة
بطرف أصبها . ثم استلقت فوق أريكة ضيقة وتناولت عدداً من أعداد مجلة
العالمين الفرنسية للشهرة التي تصدر في باريس ، من فوق مائدة صغيرة منقوشة ،
وشرعت تقلب صفحاتها

ونبهتها رنة سمال مهذب فنظرت حولها لترى خادماً وسما في كسوة أنيقة
ورباط عنق أبيض واقفاً بجوار الباب للفتوح . فسألته بذلك الصوت الناعم :

— ماذا تريد يا اجافون ؟

— ان سيميون بتروفتش كولوميتزيف موجود هنا . فهل أدخله ؟

— بالتأكيد . واخبر ماريانا فيكتيتفنا أن تأتي إلى حجرة الجلوس

وقدفت فالتينا مهايوفنا بمجلة العالمين إلى المائدة . ثم رفعت عينها إلى
أهل كائنها تفكر . وهو وضع يناسبها كثيراً

ونستطيع أن ندرك من طريقة دخول سيميون بتروفتش كولوميتزيف في
ألقة نامة إلى حجرة الجلوس ، ان هذا الشاب الذي يناهز الثانية والثلاثين من
عمره ، والذي قبل يد فالتينا مهايوفنا باحترام بعد أن انحنى إلى أحد جانبيه ،
ليس مجرد جار من أولئك الجيران الريفيين من أصحاب الضياع ، وإنما هو قطب
من أقطاب الطبقة العالية في مجتمعات بطرسبورج . وكانت ثيابه على آخر طراز
أنجلزى . والتدليل الأبيض المفهاف يبرز من جيب سترته العلوى بإطاره الملون .
والتوكل يهتز معلقاً من شريط أسود . وأما لون قمازه فكان منسجماً مع لون
بطلونه الرمادى . كان حليق الذقن قصير الشعر ، ولكن في ملامحه شيئاً
كثيراً من الأنوثة ، ولا سيما عيناه الواسعتان القريبتان احدهما من الأخرى ،
وأفقه الصغير المسطح . وشفتاه الحمراء الليثان . فهو على الجملة شديد التعلق
بمظاهر أرستقراطيته ، ولعل هذا راجع الى إحساسه بأن أجداده كانوا في يوم
من الأيام من البستانيين ...

— كنت أظن ان زوجك سيكون هنا في هذا الوقت ...

ف نظرت اليه نظرة جانبية وسأته بمكر :

— وهل كنت لا تأتي إلا لذلك ؟

— فالتينا مهايوفنا كيف تقولين شيئاً كهذا ؟

— لا بأس . اجلس . سيكون زوجى هنا بعد قليل . فقد جئت الى المحطة

بحرية تأمينا به . فلو انتظرت قليلاً لحظيت برؤياه . كم الساعة الآن ؟

فاستخرج كولوميتزيف من جيب صدره ساعة ذهبية كبيرة أراها فالتينا

مهايوفنا بعد أن نظر فيها قائلاً :

— تجاوزت الثانية بنصف ساعة . ألم ترى هذه الساعة من قبل ؟ انها

هدية من الأمير الصربى اوبرنوفتش . انظرى ! هذه هى الحروف الأولى من

اسمه منقوشة عليها . فحنن صديقان حيان وكثيراً ما نخرج للصيد معا . وهو



« ألم تر هذه الساعة من قبل ؟ إنها هدية من الأمير أوبرنوفتش »

رجل ذو قبضة حديدية كما ينبغي لأى حاكم أن يكون . ولا يسمح لأحد أن يستغفله

والتي كولوميتزيف بنفسه في مقعد كبير ، ثم وضع إحدى ساقيه على الأخرى وراح ينزع قفازه الأيسر على مهل . ثم قال :

— اتنا بحاجة ماسة إلى رجل مثله في هذه الولاية

— ماذا أسمع ؟ ألا تعجبك الحكومة ؟

— أنى أدين للحكومة بالطاعة ولاشك . بيد أنى أريد منها مزيداً من الحزم

— لست على رأيك . وانى لأعجب .. أين ماريانا ؟

وجذبت جل الجرس فدخل خادم سألته :

— لقد طلبت أن ترسلوا ماريانا فيكتيفنا إلى هنا . ألم تبلغوها ذلك ؟

ولم يتسع الوقت أمام الخادم للرد ، لأن شابة ظهرت وراءه في فرجة الباب . وكانت ترتدى ثوباً واسعاً قائماً ، وقد قصت شعرها فبدا قصيراً بشكل ظاهر

وكانت هذه الفتاة هى ماريانا فيكتيفنا سينيتسكا ، بنت أخت سيياجين ..

وقالت ماريانا وهى تقترب من زوجة خالها :

— إنى آسفة جداً يا فالتينا مهايوفنا . قد كنت مشغولة

وانحنى نحو كولوميتزيف . ثم ذهبت الى الركن فجلست على مقعد صغير

بالقرب من البقاء التى راحت تصفق بجناحيها بمجرد أن رأتها . فنظرت إليها فالتينا مهايوفنا وقالت لها :

— لماذا تنتحين جانباً يا ماريانا ؟ أتريدى أن تكونى بالقرب من صديقتك

الصغيرة ؟

ثم التفتت الى كولوميتزيف وقالت :

— تصور ياسيميون بترفقش ان ، ييافنا عشقت ماريانا !

— هذا لا يدهشنى !

— ولكن هذه البقاء لا تطيقنى !

— يا للعجب ! لملك تهيظنيها ؟

— كلا . لا أعيظها مطلقاً . بل انى أطعمها بالسكر . ولكنها لا تقبل أن

تأكل شيئاً من راحة يدى . انها مسألة ميل أو نفور غريزى

فحدثت ماريانا فى فالتينا مهايوفنا . وحدثت فالتينا مهايوفنا فيها . فهاتان

للرأى أن لا تحب احدهما الأخرى حباً غريباً ...

وتبدو ماريانا بالقياس الى زوجة خالها عاطلة من الجمال . فهي ذات وجه مستدير وأنف مقوف وعينين رماديتين كبيرتين براتين ، وشفتين رقيقتين ، وحاجبين رقيقين . أما شعرها فبنى غزير قصير . ولكن يبدو فيها على العموم طابع الجرأة والحماسة يشع من شخصيتها كلها . وكانت لها يدان صغيرتان ، وكذلك قدماهما صغيرا الحجم . فهي تذكر الإنسان بتلك التماثيل الفلورنسية الصغيرة التي كانت مشهورة في القرن السادس عشر . أما حركاتها فرشيقة خفيفة والواقع ان مركز ماريانا في بيت سيياجين كان دقيقاً جداً . فقد كان والدها من أرومة بولندية ووصل الى رتبة الجنرال . ثم ضبط متلبساً بتبديد مبالغ طائلة من أموال الدولة . فحوكم وأدين وجرّد من رتبته العسكرية ومن ألقاب الشرف ونفى الى سييريا . وبعد فترة من الزمن صدر عنه عفو فأعيد بيد انه كان قد تحطم تماماً فمات في حالة فقر مدقع

أما زوجته وهي شقيقة سيياجين فلم تستطع أن تتحمل الصدمة فماتت بعد وفاته بقليل . وتطوع الحال سيياجين فأوى ماريانا الصغيرة وهي طفلةتهما الوحيدة . ولهذا فماريانا تكره حياتها عالة على هذا البيت وتتطلع الى استرداد حريتها بكل ما في روحها الشابة من قوة وحماسة وتشوق

كان هناك على البوام صراع داخلي متصل بينها وبين زوجة خالها . ذلك ان فالتينا مهايولونا كانت تعتبرها دائماً من العدوين وأحرار الفكر . وأما ماريانا فكانت تحترم زوجة خالها وتكرهها لأنها ترى فيها طاغية لا ضمير لها . وكانت تبعد بنفسها دائماً عن خالها سيياجين . بل وعن كل شخص في البيت .

كانت تبعد عنهم ولكنها لا تخشاهم لأن الطبيعة خلقها لا تخشى أحداً وجعل كولوميتزف يتحدث في موضوع الديانة ورجالها ، وكيف أنه وإن كان متديناً لا يحتمل رؤية القسوس بشعرهم الطويل . وعندئذ قالت ماريانا : — ان الشعر له تأثير غريب عليك ياسيمون بروفنشي . فأنت لا تطيق أن ترى شعر القسوس الطويل . وكذلك لا أحسبك تطيق منظر شعر مقصوص كشمري

فرفت فالتينا مهايولونا حاجبها يبط . وكأنها تعجب من جرأة فيات اليوم في حديثهن مع الرجال . أما كولوميتزف فقال :

— انى طبعاً لا آمالك نفسى من الأسف على شعر جميل كشمرك ياماريانا
فيكنثينا ، فيذهب ضحية مقص الحلاق . بيد ان شمرك القصير لا يثير نفورى ،
بل لله حرى أن يقلب أفكارى
وسكت كولوميتزيف برهة ثم قال لها باسماً :
— أحقاً ياماريانا فيكنثينا أنك تتوّن التدريس فى مدرسة القرية هذه
السنة ؟

— وهل يهيك أن تعلم ياسيميون بتروفتش ؟
— بالتأ كيد هذا للوضوع يهينى جداً
— وهل تترض عليه ؟
— إنى أعترض على أن يتعرض العديميون للدارس . إنى أفضل ألف مرة
أن أسلم للدارس لرجال الدين فهم أسلم عقبي ويمكن مراقبتهم
— أحقاً ؟ . أنا على كل حال لم أقرر بعد ما سأفعله هذا العام . فان
الأمر فى العام الماضى لم تكن على أحسن ما يرام . لا بد لى أن أستعد
— يا للسماء ! ما كنت أعلم قبل اليوم أن تعليم حروف المعجاء للفلاحين
مسألة تحتاج الى تحضير

وفى هذه اللحظة دخل كولىا الحجرة وهو يجرى صائحاً :
— ماما ! ماما ! حضر أبى
ودخلت من ورائه سيدة عجوز شبيهة الشعر ضخمة الساقين على كتفها
شال أصفر فأيدت وصول بورس
وكانت هذه السيدة هى خالة سيياجين ، وتدعى أنا زاهاروفنا
وأسرع كل من فى الحجرة كي يستقبلوا على السلم الخارجى رب البيت .
وأقبلت عربته تجرها أربعة جياد تخترق الطريق للهديين أشجار الحقيقة .
وكانت فالتينا ميايلوفنا التى وقفت فى المقدمة تطوق مندليها بأناقة أما كولىا
لفعل يصرخ باغباط

ولما جذب السائق البارع أعنة الخيل نزل حاجب أنيق ففتح الباب
 ووضع السلم المتحرك . فبرزت للمستقبلين ابقسامة بورس اندريفتش سيياجين .
فألفت فالتينا ميايلوفنا ذراعها البديعين حول عنقه برشاقة ، ثم تبادلوا
القبلات ثلاث مرات . ودق كولىا الأرض بقدمه وراح يجذب ستره والله

من الخلف . فتحول الوالد عن زوجته وقبل خالته انا زاهاروفنا . وبمذلك
حيا ماريا وكولوميتزيف وأخيراً تفرغ لولده الصغير فرفعه من تحت
أبطيه وقبله

وكان نيجدانوف طيلة الوقت يتشاغل في خجل بالنزول من العربة . وخلص
قبته ثم وقف بهدوء بجوار السجلة الأمامية ينظر من تحت حاجبيه . وكانت
فالتينا مهايловنا وهي تقبل زوجها قد ألفت نظرة خاطفة ولكنها فاحصة على
ذلك القادم الجديد . لأن زوجها كان قد أنبأها من قبل أنه سيأتي معه
بالمعلم الخاص

وتبع نيجدانوف المجموعة الصاعدة على السلم . فلما وصلوا الى الباب ، جل
سيياجين يفتش عنه بعينه ثم قدمه الى زوجته ، والى انا زاهاروفنا ، والى
ماريانا ، ثم قال لولده كوكليا :

— هذا مملوك يا كوكليا . فاحرص على أن تطيعه في كل ما يطلبه منك
والآن مد له يدك وصافحه

فمد كوكليا يده على استحياء وحقق فيه جيداً . فلما لم يجد في مظهره الجديد
شيئاً مميئاً يسترعى انتباهه ، سرعان ما تحول عنه الى أبيه

وعمر نيجدانوف بعدم الاستقرار أو الاطمئنان في هذا الوسط ، كما شعر
بذلك من قبل ليلة المسرح . فقد كان يرتدى معطفاً قديماً غير أنيق . أما
وجهه ويداه فكانا يغطيهما التراب والسواد من أثر الرحلة

وهو يدري جيداً أن فالتينا مهايловنا وجهت اليه عبارة رقيقة من
عبارات المجاملة ، بيد أنه لفرط ارتباك لم يدرك ماذا كانت بالضبط . وكل
ما استطاع أن يلاحظه ، هو أنها شديدة الذكاء ، حاضرة البديهة ، وأنها
شديدة التعلق بزوجها . أما ابنها كوكليا فلم يعجبه فيه رأسه الغارق في اللعاجين
ولما وقع نظره على كولوميتزيف قال في نفسه :

— يا له من مخلوق مترف . . .

أما الآخرون فلم يلق اليهم باله

الحجرة الخضراء

كانت الحجرة التي أرشد الخادم نجدانوف إليها أنيقة في جمال ، فسيحة ، ذات نوافذ واسعة مفتوحة تطل على الحديقة . والنسيم العليل يحرك الستائر البيضاء ويرفها كأنها قلاع ثم يتركها تهبط ثانية . ورائحة الريح النضة تملأ جو الحجرة

وصرف نجدانوف الخادم ثم أفرغ حقيته واغتسل وبدل ثيابه . وكانت الرحلة قد أنهكت قواه . ووجود شخص غريب طيلة اليومين اللذين استغرقتهما وما صاحب ذلك من مناقشات لا طائل تحتها ، قد أشاع الاضطراب التام في أعصابه ، فتجمعت في أغوار كيانه مرارة لا هي بالسأم ولا هي بالسخط . فمشى نحو النافذة ووقف ينظر إلى الحديقة وكانت من الطراز العتيق وتحتل سفح تل راح نجدانوف يحرق ويصنى ، وهو يحتمس جرع الهواء الرطب من بين شفتيه المقترنين فحارقه ذلك الشعور بالآباء وتسربت إلى نفسه طمأنينة رائحة

وفي هذه الآونة كان نجدانوف موضوع مناقشة في الطابق الأسفل . إذ كان سيبياجين يخبر زوجته عن كيفية التقائه به . وماذا قال له الأميرج عنه . وبموضوعات أحاديثهما طوال ساعات الرحلة التي بلغت يومين كاملين — أنه يا عزيزتي شاب ذكي ، حسن الترية أيضاً . أجل إنه ثوري . ولكن ما أهمية ذلك ؟ فالناب على هؤلاء الناس الطموح . وأما كوليأ فهو أصغر كثيراً من أن يتعرض للفساد من هذه الناحية

وكانت فالتينا ميهيلوفنا تصنى لزوجها بشغف ، وقد تلاعبت على شفتيها ابتسامة ، فكانه كان يروي لها دعاة فكهة . وكان يروق لها أن تغال سبداها ومولاها ، وهو هذا الرجل المعتبر القدي يحتل مكانة خطيرة ، يمكن أن يكون خبيراً مثل فق في العشرين من عمره

وكان سيياجين واقفاً أمام المرأة ، في قميص أبيض كالثلج ، وحالة من
من الحرير الأزرق ، يمشط شعره على الطريقة الانجليزية بفرشتين . في حين
جلست فالتينا مهابلوفنا على أريكة تركية ضيقة وقد جلست سابقها من تحتها ،
تخبره بأبناء البيت المختلفة ، وبأبناء مصنع الورق الذي لم يكن للأسف يسير
على ما يرام كما كان منتظراً ، كما حدثته عن احتمال تغير الطباخ ، وعن
الكنيسة التي سقط طلاؤها ، وعن حارباتا وعن كولوميزيف ...

وكانت هناك ثقة كاملة وتغامم طيب بين الزوج والزوجة . فما من شك
أتهما كاتما يعيشان في محبة ووافق كما يقول أهل الزمن السالف
ولما أم سيياجين زيقته طلب من زوجته أن تعد إليه يدها ، فعدت إليه
كلتا يديها وراحت ترقبه بشغف وزهو وهو يقبل الواحدة منهما بعد
الأخرى

وحينما دقت الساعة الخامسة نزل نجدانوف لتناول الطعام الذي أعلن عنه
بديقات طبل صيني لآبونات جرس . ووجد المجموعة كاملة في حجرة الطعام .
ورحب به سيياجين ثم أشار له الى مقعد بين انا زاهاروفنا وكوليا

وكانت انا زاهاروفنا عذراء عجوزاً ، وشقيقة لوالد سيياجين . وكانت
عصية الحركات جداً ، وعصية النظرات أيضاً . وقد أشرفت على تربية كوليا
فكانت بمثابة المربية له . ولهذا اكتسب وجهها للتغضن بلامم الاستياء عندما
جلس نجدانوف بينها وبينه . أما كوليا فنظر من طرف عينيه الى جاره
الجديد . وأدرك الفلام الذي بسرعة أن مظهره يشعر بالحجل وعدم الارتياح .
حتى انه لم يكذب يرفع عينيه أو يصيب من الطعام شيئاً . وسر كوليا لذلك . فقد
كان يخشى أن يكون مظهره فقط متجهماً

وفي الوقت نفسه كانت فالتينا مهابلوفنا ترقب نجدانوف . وقالت لنفسها :
— إنه يبدو في مظهر الطلاب ، لم يألف المجتمعات . يد أن له وجهاً
يستثير الاهتمام . ولون شعره أشبه بلون ذلك الحواري الذي يرسمه الأساتذة
الايطاليون دائماً بشعر أحمر . وما أشد نظافة يديه !

والواقع أن جميع من كانوا على اللائحة كانوا يحدقون في نجدانوف .
يد أنهم كانوا يشفقون عليه فيتركونه لنفسه في الوقت الحاضر . وشعر هو
بنذك فسر له وغضب بسببه في الوقت ذاته

وكان الحديث على المائدة دائراً في معظمه بين سيباجين وكولوميتزيف
فتحدثنا عن مجلس المقاطعة ، وعن الحاكم ، وضريبة الطرق الزراعية ، وعن
السلح بشراء الأرض ، وعن أصدقاء لكتيها في موسكو وبطرسبورج ،
وعن صعوبة الحصول على التوضيحات للخسائر التي تسببها الماشية . بل وتحدثنا
أيضاً عن بشارك وبابليون الثالث الذي كان يلقبه كولوميتزيف بالبطل
وأطلق كولوميتزيف العنان لآرائه الرجعية ، حتى انه اقترح - على سبيل
الزجاج - أن يحتموا نخب « للبدأ الوحيد الذي اعترف به وهو الكبراج »
وقطعت فالتينا مهايловنا حاجبها ثم قالت بالفرنسية :
— إن هذه قلة ذوق متناهية !

أما سيباجين فكان على العكس يفيض في شرح آرائه التقدمية ، ويغند
حجج كولوميتزيف بكل أدب ، ولكن بشيء من الاستهانة
وفي أثناء هذه المركة الكلامية المصادفة كان نجدانوف يتبادل النظرات مع
ماريانا خلسة ، فأدرك على الفور أنه أمام فتاة جادة تمتنع بمذهبه وتتم
بطابعه . فسر سروراً عظيماً أن يكتشف ذلك ، وتابع المناقشة الدائرة بروح
معنوية أعلى من ذي قبل فوجد فالتينا مهايловنا تؤيد زوجها بل انها
كانت أشد حماسة منه في تبيراتها حتى إنها قالت بصراحة لضيفها :

— أنا لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن أن يمتنع شاب متعلم هذه
الأفكار الصليبية التي لم تعد تصلح لهذا الزمن . ولكني واثقة أنك إنما تتظاهر
بذلك على سبيل الجدال فقط

ثم التفتت الى نجدانوف وقالت باسمة :

— وأنت يا ألكساي ديمتريتش ، أنا أعلم أنك لا تشارك سيميون
بتروفيتش آرائه . فقد أخبرني زوجي بما كان بينكما من أحاديث في أثناء الرحلة
فاحمر وجه نجدانوف وانحنى فوق طبقه وغغم كلمات . لا لأنه كان يشعر
بالحجل ، بل لأنه لم يكن متعوداً على التحدث مع مثل هذه الشخصيات اللامعة
وظلت مدام سيباجين تبسم له ، وزوجها يهز رأسه في رعاية . فوضع
كولوميتزيف اللونوكل تحت حاجبه وراح يحرق في هذا الطالب الذي تجاسر
على مخالفة رأيه . ولكن كان من الصعب أن يضايق نجدانوف بهذه الوسيلة ،
بل على العكس انتصب في جلسته وراح يبادل الموظف الأنيق تحديقاً بتحديق .

وكأشعر بغيرته أن ماريانا صديقة ، كذلك شعر أن كولوميتزيف عدو وحاول كولوميتزيف أن يضحك ولكن الضحكة لم تخرج من فيه . لأنه شعر أيضاً أن نجدانوف عدو صلب المراس . ولم يكن يؤيده في رأيه إلا أنا زاهاروفنا التي كانت معجبة به للغاية ، والتي زاد سخطها لذلك على الجار الغريب الذي جلس بينها وبين كولييا قفرقها عنه

وبعد الفراغ من الطعام نهضت المجموعة الى الشرفة لتتناول القهوة وأشعل سيياجين وكولوميتزيف السيجار . وعزم سيياجين على نجدانوف بولحد ، يد أنه احتذر ، خصاح سيياجين

— طبعاً ! لقد نسيت أنك لا تدخن إلا نوع سجاورك الخاص

وإذا بدمام سيياجين تقول في هذه اللحظة فجأة :

— لا تضايقي قسك يا ماريانا من أجل صديقنا الجديد دخني سيجارتك كما تشائين . قد سمعت أن الفتيات يدخن في أوساط التقديمين ثم التفتت متسائلة بنظراتها نحو نجدانوف ، فأجابها بإيجاز :

— هذا صحيح

فكسرت مدام سيياجين جنبها وقالت بتحسر كاذب :

— أما أنا فلا أدخن . وأظنني متأخرة عن زمني

فلم يجب نجدانوف . أما ماريانا فأخرجت بيطه وعناية سيجارة وصندوق قهاب وراحت تدخن كأنما لتضيظ زوجة خالها عمداً . وأشعل نجدانوف سيجارته من ماريانا وشاركها في التدخين

كان للساء جيلا ، فزل كولييا مع انا زاهاروفنا الى الحديقة . وبقى الآخرون في الشرفة يستمتعون بالتقسيم . واحتدم النقاش مرة أخرى عندما هاجم كولوميتزيف الأدب الجديد . وفي هذه المرة أيضاً أظهر سيياجين منتهى التقدم والحماسة لكل ما هو حديث . وبعد ذلك نهض الجميع لتناول الشاي في حجرة الجلوس

وبعد الفراغ من الشاي قال سيياجين لنجدانوف :

— يا ألكساي ديمتريتش . إنا هنا متعودون على لعب الورق كل مساء .

بل ونلعب لعبة يخرمها القانون . . . ولا أهمل عليك بطلب اللب معنا ولكن ربما تكرمت ماريانا فمزفت لك شيئاً على البيانو ، فأنت تحب للوسيقى

ومن غير أن ينتظر رفاً ، تلول سيابجن الورق ، جلست ماريانا الى
الباتو وعزفت بغير اكرات جملة مقطوعات لتندلسن

ولما اكتشف سيابجن أن نجدانوف بعد انتهاء اللوسقي كان يتجول في
الحجرة على غير هدى متشغلاً بالتطلع الى الصور ، رجاء ألا يجثم نفسه أى
تكليف ، وأن يأوى الى حجرته إن كان يشمر بالتعب من الرحلة
— وتذكر يا عزيزى أن المبدأ السائد فى بيتنا هو الحرية

فاستل نجدانوف ذلك وانحنى لجميع الحاضرين ثم غادر الحجرة . فاستلم
عند الباب بماريانا وهى داخله . فأطل فى هذه اللحظة فى عيها ، واقتنع مرة
أخرى أهما رفيقان ، وإن كانت لم تظهر أى علامة تدل على سرورها برؤياه
عندئذ ، بل على العكس قطبت جبينها جداً

ولما دخل حجرته وجدها بمنشة بالهواء المتجدد المطر لأن نوافذها ظلت
مفتوحة على مصراعها طول النهار

وفى الحديقة ، ألام نافذته ، وقف بلبل يفرد بصوته العذب . وبلدت على
صفحة الأفق أشعة القمر الصاعد من خلال الأشجار العالية ، فانشرح صدر
نجدانوف ، وأوقد شمعتة ليخلع ثيابه



استيقظ نجدانوف مبكراً فى ذلك اليوم . ومن غير أن ينتظر دخول الخادم
عليه ليعاونه نهض من فراشه وارتدى ملابسه ثم خرج الى الحديقة . وكانت
الحديقة مترامية الأطراف بديعة التنسيق . ووجد عدداً من الأجراء يمهدون
للمرات التى لم تزل مبللة بالندى ، ولمح من بين الشجيرات الخضراء الناصعة
أغوان للناديل الزاهية التى تغطى رؤوس القلاحت الصغيرة . فسار متمهلاً
الى شاطئ البحيرة ، وكان ضباب الصبح قد انتشع فلم يترك إلا بعض تعاريج
من شاطئها فى طى الخفاء ،

وكانت الشمس لم تزل بعيدة عن العلو فى كبد النهار ، فهى ترسل من
الأفق الشرقى أشعة ورديّة تغمر كل شئ فى مسطح واسع ، حتى هؤلاء التجارين
الذين كانوا مشغولين باللسات الأخيرة من قارب جديد يعدونه للزخعة فى تلك

البحيرة ، نزهة رب الدار وزوجته . كانوا يعملون في صمت إلا لضرورة العمل القصوى ، وكأنهم يشعرون بجلال سكون الصباح ولا يجدون الجراءة على تكديره ولجأة لمح نجدانوف في الجانب الآخر من الممر صورة مجسمة للنظام والأماقة ، ممثلين أتم تمثيل في شخصية سيباجين نفسها ، الذي ياديه قائلا :

— آه ! أراك من طيور البكور . إننا نتناول الشاي في الساعة الثامنة في قاعة المائدة ، و نتناول الافطار عادة في الثانية عشرة . وأود أن تمنح كويا درسه الأول في النحو الروسى في الساعة العاشرة . أما درس التاريخ ففي الساعة الثانية بعد الظهر

فأخى نجدانوف رأسه ، واستأذن منه سيباجين منصرفاً على الطريقة الفرنسية ، رافعاً يده بسرعة جملة مرات الى شفتيه وأتفه ، ثم انطلق يصفر بفمه ويطوح عصاه في نشاط ، لا كما يفعل كبار الموظفين في الدولة ، بل كما يفعل أهل المرح من ثروة الريف ...

وفي الساعة العاشرة تماماً قام نجدانوف باعطاء درسه الأول لكويا ، بحضور فالتينا مهايوفنا التي استأذنته في ذلك ثم جلست صامتة جداً طول الوقت . وأثبت كويا أنه غلام ذكى ، بعد أن انقضت الملاحظات التي لابد منها في البداية متمسكة بالاستيعاش والتردد والتوجس ، فسار الدرس على خير ما يرام ، ولا شك أن فالتينا مهايوفنا رضيت كل الرضى عن نجدانوف ، فقد تحدثت إليه جملة مرات بلهجة ودية . وحاول هو أن يتباعد قليلا ، ولكنه لم يستطع ...

وحضرت فالتينا مهايوفنا الدرس الثانى أيضاً ، وكان هنالمرة في التاريخ الروسى . واقتصرها عن اقتصامه وهى تصرح في بدايته أنها تحتاج شخصياً الى تنقيف في هذا الموضوع قدر حاجة كويا الى ذلك . ثم جلست ساكنة في هذا الدرس كسكونها في الدرس الأول تماماً

وفي الفترة التي انقضت بين الساعة الثانية والساعة الخامسة مكث نجدانوف في حجرته الخاصة يكتب الخطابات الى أصدقائه في بطرسبورج . وكانت أعصابه المرهقة من الرحلة قد هدأت شيئاً ما ، قهارقه ما كان يشعره من سأم وقنوط . ولكن على مائدة المشاء وجد أعصابه تتوتر من جديد . لا لأن كولوميتزيف أثارها — فهذا الشخص لم يكن موجوداً تلك الليلة — بل لأن رب الدار وربته

أفرطاً في اظهار الحفاوة به والتلطف معه ، مما أشعره أنه مسكين يتصدقان عليه بالعطف

وزادت الحالة سوءاً تلك العائس الجوز أنا زاهاروفنا التي كانت واضحة العداء له والنفور منه . وأما كوكيا الذي زالت الرهبة من نفسه فكان يرفيه من تحت المائدة . ولما تحول الى ماريانا بينيه وجدها على حالها من الجد وأثار سيياجين موضوع مصنع الورق ومديره الألمانى الذي كان يتقاضى منه مرتباً كبيراً ولا يحق منه أى فائدة . ثم شرع يسب الألمان عموماً ، وذكر بالحير مهندساً روسياً اسمه سولومين ، فقد سمع أنه نجح جداً فى إدارة مصنع لتاجر من جيرانه . وأبدى شغفاً كبيراً بمقابلة هذا الرجل

وحضر كولوميتزيف أثناء السهرة ، فزرعته لاتبعد سوى عشرة أميال عن قرية سيياجين . وبعد قليل جاء زائر آخر ليست فى فمه سن واحدة ، يد أنه حسن الهندام جداً . كما حضر طبيب المنطقة ، الذى يجمع بين سوء العلم والطب والادعاء الكاذب فى الأدب ، فلما سمعه نجدانوف يفضل شويراً غثاً على الشاعر العظيم بوشكين ، انسحب الى حجرته حيث ظل يقرأ ويكتب الى منتصف الليل وكان اليوم التالى هو يوم عيد القديس حامى كوكيا

ومع أن الكنيسة لم تكن تبعد عن البيت سوى ربع ميل ، إلا أن أهل البيت جميعاً ومعهم الحشم ذهبوا لحضور صلاة القديس فى ثلاث عربات مطهمة مكشوفة ووراء كل عربة حاجبان بكسوة الأعياد للزركة

وكان قد انقضى زمن طويل لم يدخل فيه نجدانوف كنيسة ، فوقف فى ركن بين نساء الفلاحين اللواتى طفقن يرمقنه بنظرات جانبية ما بين كل ركة وأخرى ، أو ما بين كل ركة وكل مسحة بأيدهن على أنوف أطفالهن . أما الفتيات والفلان فى التمسان المطرزة فكانوا يحقدون النظر فيه بصراحة ، فيحقد فيهم كذلك ... وبعد انتهاء القديس الطويل ، انتقل رجال الكنيسة جميعاً بدعوة من سيياجين الى البيت ، حيث قاموا بمراسم أخرى معقدة اضافية ، رشوا فى ختامها حجرات البيت بالماء القديس . ثم جلس الجميع الى مائدة إفطار حافلة . وإكراماً لحاضر القساوسة جلس رب الدار وربته الى المائدة قبل الموعد المألوف . بل ان سيياجين جثم نفسه رواية بعض التكات والفكاهات ، غير مكترث بالوسام الأحمر المهيّب الذى يرتديه

وكان كولا في معطفه الجديد ذى الأزوار الذهبية هو بطل ذلك اليوم .
قدمت إليه الهدايا والتهانى . وقبل الحنم يده عند الباب الأمامى وعند الباب
الخلفى . كما حضر العمال من المنصع ، والفلاحون والقلاحت من الحقول ليقوموا
أيضاً بعملية تمثيل يده هذه . ثم وزعت على هؤلاء الأتباع صحاف الطعام
وزجاجات القودكا تذكراً لأيام رقى الأرض الساقطة

وعلى مائدة العشاء أمر سيياجين باحضار الشبانىا التى فُتحت بضعتها
المعتادة . ثم أمر سيياجين قبل احتساء نخب ابنه الوحيد أن يلقي خطبة مناسبة
للقام . وكيف يتوقع من ابنه نيقولاى (ولم يستعمل فى هذه المرة اسم التديل
كولا) أن يقوم بواجباته ، نحو أسرته أولاً ، ونحو طبقته الاجتماعية ثانياً ،
ونحو الشعب ثالثاً ، ونحو الحكومة رابعاً ...

وبعد أن فرغ من هذه الخطبة الحمسية تقدم كولا وكأسه فى يده فشكر
والله ، ثم تلقى قبلات الآخرين

وعندئذ وجد نيجدانوف نفسه يتبادل النظرات مع ماريانا . ولم يمد هناك
شك أن شعورهما كان متماثلاً إزاء هذا المنظر . ولكهما لم يتفاهما بالألفاظ
وعلى كل حال ، كان نيجدانوف مسروراً بهذا الاستعراض . ووجد فيه
تسلية . كما بدت له فالتيناميايلوفنا امرأة ذكية تدرى ما فعل ، وتقدر ذكاه .
وقد أطربه أن يكون هذا هو شعور السيدة الحسنة من جهته

وهكذا انقضى اليوم الثانى بغير عمل ، ثم استؤنفت الدروس فى اليوم
الثالث على الوثيرة المعتادة . وانقضى أسبوع على هذا النحو

ولعل أحسن تعبير عن خواطر نيجدانوف فى تلك للفترة هو ما جاء فى
قترات من خطاب كتبه الى زميل قديم من زملاء المدرسة ، هو أفضل أصدقائه
وأعزم عنده ، واسمه سيلين

وسيلين هذا لا يسكن بطرسبورج ، بل مكانا فى أعماق الريف مع قريب
له . ويعتمد فى حياته كل الاعتماد على ذلك القريب ، بحيث يصعب عليه جداً
أن يفكر فى الرحيل عن تلك البقعة . فهو ضعيف الصحة جداً ، محدود اللواهب
جداً ، خجول الى أقصى حد ، ولكنه يتمتع بظرة نقية للغاية . لم يكن له
اهتمام بالسياسة ، بيد انه كان يقرأ كل ما يقع له . ويعزف على اللزمار فى أوقات
السأم ، أما الفتيات فيحذرهن ويفزع منهن

وكان سيلين شغوقاً جداً بنجدانوف . ونجدانوف لا يكشف طوايا نفسه بصراحة لأحد سوى فلاديمير سيلين . فحين يكتب إليه يشعر أنه يروح بمكنون نفسه لصديق في عالم آخر ، أو لنداء ضميره

« ان رب البيت وربته مجاملان جداً . ومتحرران في أفكارهما . والسيد واسع الاطلاع والثقافة ، تتناوب بين الحين والحين نوبة من البلاغة والقصاحة . وأما السيدة فجميلة جمال الصور ، وهي حاضرة البديهة جداً ، دقيقة للملاحظة ، وناعمة جداً ! انها لفرط غضارتها ونعومتها يغفل الى انه لا وجود للعظام في بدنهما اكم أخافهما ! وأنت أدري الناس بمقدار صلاحتي لصجة النساء ...

« هناك جيران يزورون البيت . ولكنهم لا أهمية لهم . وفي البيت سيدة عجوز لا أستريح اليها ... ولكن هناك شابة مميّنة تثير اهتمامي . ولكني لا أعلم ، ولعل الله وحده يعلم ، ان كانت في البيت بصفقتها من ذوى القربى أو مراقبة للسيدة بالأجر ! اني لم أبادلها أكثر من كلمتين . ولكني أشعر شعوراً عميقاً اننا طيران من فصيلة واحدة »

وتلت ذلك تفاصيل الشكل العام لما رأينا وعاداتها ، وأتبع ذلك بقوله :

« ليس عندي أدنى شك في انها غير سعيدة ، وفي انها متكبرة طموح متخلفة . ولكن التعاسة هي الطابع الغالب عليها . وقد فشلت حتى الآن في الكشف عن أسباب تلك التعاسة . ومن الواضح أيضاً انها ذات طبيعة مستقيمة . ولكني لم أعرف بعد هل هذه الطبيعة المستقيمة طيبة كذلك أم لا

« اني كما تعلم لا أعرف إلا القليل جداً عن عالم النساء . وقد لاحظت أن ربة الدار لا تحبها . واحساسى الخاص ان هذا الشعور متبادل . ولكن من الصعوبة بمكان أن أقول من منهما على حق ومن منهما المخطئة . فربة الدار مهذبة جداً في حديثها معها . أما الأخرى فتقطب جبينها بصية حين تتحدث الى السيدة . انها تشبهني في فرديتها وانزاعها ، وفي سهولة التكدر ، وإن كان أسلوبها في ذلك قد يختلف عن أسلوبى . وسأكتب اليك حين أصل إلى حل كل هذه الألغاز أو بعضها

« انها لا تكاد تكلمنى كما قلت لك من قبل . ولكن في اللرات القليلة التي

خاطبتني فيها (وكان هذا على السوام بصورة مباغتة) كنت أسمع رنة صدق
واخلاص خشنة في صوتها يعيل لها قلبي
« وبهذه المناسبة ، ألم يفكر قريك السجوز بعد في الانتقال إلى العالم الآخر ؟
أرجو أن يفعل قريبا »



في الغابة

بلغ شهر مايو نصفه الثاني ، وأخذت أيام الصيف الحارة تجوالى
وبعد انتهاء درس التاريخ ذات يوم خرج نجدانوف يتجول في الحديقة ،
ومن هناك قادته قدماء الى غابة تحف بالحديقة من أحد جانبيها . وكان هذا
الجزء من الغابة قد قطعه بعض التجار منذ خمس عشرة سنة . بيد أن تلك
المساحة سرعان ما غطتها شجيرات خلمية

وجدد أن قضى في تجواله نحو نصف ساعة ، جلس نجدانوف فوق جذع
شجرة مقطوع تحف به أكوام من القطع الخشبية الصغيرة التي تساقطت
تحت ضربات الفأس التي أسقطت الجذع قليلا قليلا

ولم يكن يفكر في شيء معين ، بل ترك العنان لخواطره وأسلم إحساساته
للريح التي يمزج الاحساس به دائماً في قلوب الشيب والشباب على السواء
شيء من الحزن . بيد أنه حزن متوفز عند الشباب ، وأسى مستقر عند
الشيوخ

وتنبه نجدانوف فجأة الى اقتراب خطوات وخيل اليه أنها ليست
خطوات شخص واحد . كما أنها ليست خطوات أحذية الفلاحين الثقيلة ،
ولا خطوات فلاحه خافية . وإنما هي أشبه بخطوات شخصين يقتربان في عمل
بايقاع منتظم . ثم مع وسوسة ثوب امرأة . وسمع فجأة صوت رجل عميقاً
يقول :

— هل هذه كلتك الأخيرة ؟

— نعم هي الأولى والأخيرة !

وكان الصوت صوت امرأة مألوفاً عنده . وبعد برهة ظهرت من بين
الأشجار وعلى جد في بعض منحنيات الطريق مارطانا ، وفي محبتها رجل أسود
المعنيين لم يكن نجدانوف قد رآه من قبل

ووقف الاثنان جامدين كأنما سمرا في الأرض عندما وقع بصرها عليه .
وأخذ هو من المفاجأة حتى انه لم يتحرك للتهوض من حيث كان جالسا
فوق الجنب

واحمر وجه ماريا تا حتى منابت شعرها ، ثم ابتسمت على القور ابتسامة
استخفاف . وكان من الصعب أن يتكهن إن كانت هذه الابتسامة راجعة الى
خجلها من احمرار وجهها ، أو موجهة الى نجدانوف . وأما صاحبها فظهر
الاضطراب في عينيه وانحما ، وتبادل النظرات مع ماريا تا . ثم أدار له ظهرهما
من غير أن ينطقا بكلمة ، وانصرفا في خطوتهما البطيئة ، ونجدانوف يتبعهما
بنظرة دهشة

وبعد نصف ساعة عاد نجدانوف الى حجرته . ولما سمع البقات التي تؤذن
بالعشاء نزل الى حجرة الجلوس ، فاذا به يجد هذا القريب الأسود العينين التي
رآه في الغابة موجوداً هناك . وقام سيياجين بتقديم نجدانوف اليه باعتباره
صهره ، شقيق فالتينا مهايوفنا واسمه سرجاي مهايوفنش مازكيلوف . ثم
استطرد سيياجين على طريقته الودية الباسمة :

— أرجو أن تتوثق المعرفة بينكما وتندوا صديقين

فانحنى مازكيلوف صامتاً ورد عليه نجدانوف بنفس الطريقة . فجز
سيياجين كفيه والتي برأسه الى الوراء قليلا وابتعد عنهما ، وكأنه يقول :
— لقد جمعت بينكما ، وسيان عندي بعد ذلك أن تصادقا أو تتعاديا !
واقتربت فالتينا مهايوفنا منهما ، وأعادت التعريف بينهما ، ثم التفتت
نحو شقيقها بحياها المشرق ، وبدليل يظهر أنها كانت قادرة على إبرازه عند
الطلب في عينها الساحرتين :

— أرى يا عزيزي سرج أنك كدت تنسانا ... وعلى قريك منا لم تحضر
حتى عيد عزيزنا كوليا . فهل أنت مشغول حقاً الى هذا الحد ؟

وفي هذه اللحظة بالذات أعلن قدوم كولوميتريف . فأسرعت ربة الدار
الى استقباله ، وبعد لحظات أعلن الخادم بصوت منم أن المائدة حاضرة

وطول مدة العشاء لم يستطع نجدانوف أن يحول عينيه عن ماريا تا
ومازكيلوف . وكانا جالسين جنباً الى جنب وقد غضا طرفيهما وزما تعريهما .
وعجب نجدانوف كيف يمكن أن يكون مازكيلوف هذا شقيق مدام سيياجين .

فما أقل الشبه بينهما . وكل ما يجمع بينهما هو هذه السمرة . بيد أن سمرة
فالتينا مهايولونا كانت تضفي على وجهها وذراعها وكفها عنصراً من عناصر
الفتة . أما سمرة شقيقها فكانت قائمة بدرجة ينفر منها الذوق الروسي
وكان ماركيلوف متموج الشعر ، معقوف الأنف نوعاً ، غليظ الشفتين ،
غائر الخدين ، شنيق الصدر ، قوى اليدين . بل إنه كان جاف المود في قوة
عضلية وحيوية . وكان يتحدث بصوت أجش معدني أما النظرات الناعسة
في عينيه ، والوجوم الذي يرسم على محياه ، فتدل على مزاج صفراوي . ولم
يحب من الطعام إلا قليلاً . إذ كان يسلى نفسه بعمل كرات من لباب الحبز .
وبين الحين والحين كان يثبت عينيه في كولوميتزيف الثرثار

وكان كولوميتزيف قد عاد لتوه من المدينة ، حيث حظي ببقاء الحاكم
بخصوص موضوع لا يسر كولوميتزيف كثيراً ، ولهذا جر عليه ذيل الصمت ،
بيد أنه أقاض الحديث في كل موضوع آخر . وحمل عليه سيباجين عندما
راه يتطرف في آرائه الرجعية وإن كان ذلك لم يمنعه من التفهمة للنواتر
التي رواها

ولم يكن ماركيلوف في الواقع يجر كلمات كولوميتزيف ابتهاهاً خاصاً
ولكنه نظر في تساؤل ناحية نجدانوف مرة أو مرتين . ثم ضرب بأصبعه
إحدى كرات اللباب فأخطأت بمسافة قصيرة أنف المتحدث الثرثار
وسيباجين توخى من جانبه أن يترك صهره وشأنه . وكذلك فالتينا
مهايولونا لم تحدث إليه . فبات من الواضح أن الزوجين يجتران ماركيلوف
شخصاً شاذاً لا ينبغي الاقتراب منه أو إثارة
وبعد انتهاء العشاء توجه ماركيلوف الى قاعة البلياردو ليدخن غليونيه .
أما نجدانوف فانسحب الى حجرته

وفي الدهليز التقي بماريانا ، وأراد أن يتسلل من جوارها ، وإذا بها توقه
بحركة سريعة من يدها وتقول له بصوت مضطرب قليلاً :

— يا ماستر نجدانوف ينبغي ألا يهمني مطلقاً ما قد تظنه بي . ولكني
أجد . . .

ولبثت برهة تبحث عن الكلمة المناسبة إلى أن وجدتھا :
— أجد من الضروري أن أخبرك أنك حينما وجدتني في القاعة اليوم مع

المستر ماركيلوف ، لا بد أنك ظننتنا وقد رأيت ارتباكنا ، أننا كنا هناك
بناء على اتفاق أو موعد سابق

— الحقيقة أنني استغربت قليلاً . . .

فقاطعت ماريانا قائلة :

— إن مستر ماركيلوف طلب في هذه اللقابلة يدى . . . وقد رفضته .
وهذا كل ما أردت أن أقوله لك . طابت ليلتك . وطنى بى ماشئت !

ودارت على عقبها ثم أسرعت مبتعدة !

ودخل نجدهانوف حجرته ثم جلس بجانب النافذة يفكر :

— يالها من فتاة عجيبة ! ترى لماذا هذا الايضاح الذى لم يطلبه منها أحد ؟
هل هى رغبتها فى القرابة ، أو التصنع ، أو الكبرياء ؟ . إنها الكبرياء
ولاشك . فهى لاتستطيع أن تحتمل مجرد الشبهة فى أن يسوء أحد بها الظن
وفى الوقت نفسه كان نجدهانوف هو موضوع الحديث فى الشرفة السفلى .
وقد سمع صوت كولوميتزيف وانخما وهو يقول :

— لقد تطلعت وأنا فى خدمة البوليس السرى كيف أعرف بخريرتى
الثورين . ولا شك عندى أن مملك الجديد ثورى . ألم تلاحظ أنه لا يبدأ
أحداً بالأنحاء ؟

فأجابته مدام سيياجين قائلة :

— ولماذا يبدأ بالأنحاء ؟ إن هذا هو ما يحببني فيه

فصاح كولوميتزيف بمحبة قائلاً :

— إننى ضيف فى البيت الذى يخدم فيه . نعم يخدم فيه بأجر كائى خادم .
فأنا إذن أعلى منه مقاماً . . . ولهذا ينبغي أن ينحن لى أولاً

فقال سيياجين بحزم ولكن فى هدوء :

— يا عزيزى كولوميتزيف . إننى أدفع له أجر خدماته وعمله . ولكننى
لا أدفع له ثمن حريته . فهو حركائى إنسان

— إنه لا يحس بالالجام ! وجميع الثورين على هذه الشاكلة !

وأوشك نجدهانوف أن يصرخ من النافذة ليسبه ، لولا أن باب الحجرة

انفتح في هذه اللحظة . ولدهشته الشديدة دخل عليه ماركيلوف



نهض نجدانوف لاستقباله ، أما ماركيلوف فأنجه اليه مباشرة ومن غير تحية سأله : « ألت الكساي ديمتريش ، الطالب بجامعة بطرسبورج ؟ » فأجابه نجدانوف قائلاً :

— بلى . إننى هو . . .

فأخرج ماركيلوف خطاباً غير مغلق من جيبه الجانبي ، وقال له بصوت تعمد أن يخفضه خفصاً ذا مغزى :

— في هذه الحالة ، تفضل بقراءة هذه الرسالة فهي من فاسيلي نيقولايفتش

فبسط نجدانوف الرسالة وقرأها . وكانت نشرة شبه رسمية تتضمن تقديم سرجاي ماركيلوف باعتباره واحداً « منا » جديراً بالثقة المطلقة . وأعقبت ذلك توجيهات بشأن الضرورة الملحة للعمل للوحد في الدعاية لمبادئهم المعروفة . وكانت هذه النشرة موجهة الى نجدانوف باعتباره شخصاً جديراً بالاعتماد عليه ولما فرغ نجدانوف من التلاوة مديده الى ماركيلوف وقدم اليه مقعداً ، ثم جلس هو أيضاً ومن غير أن ينطق ماركيلوف بكلمة أخذ في إشعال سيجارته ، فحذا نجدانوف حذوه . ثم سأله ماركيلوف أخيراً :

— هل دبرت أمر الاتصال بالفلاحين هنا ؟

— كلا . فالوقت لم يتسع لى بعد

— وكم مضى عليك من الوقت هنا ؟

— زهاء أسبوعين . . .

— هل العمل لديك كثير ؟

— ليس كثيراً جداً . . .

فשמع ماركيلوف سمة حادة ثم قال :

— إن الناس هنا على درجة عظيمة من الفناء جهلاء غاية الجهل .

ولابد من تنويرهم وهم قراء جداً ، بيد أنه من غير الممكن إفهامهم سبب فاقهم

فعلق نجدانوف على ذلك بقوله :

— إن عتقاء زوج أختك القدامى لا يبدو عليهم فيما أرى أنهم قراء
— إن زوج أختي أستاذ بارع في التوجيه على الناس . وهو يعرف جيداً
كيف يصل الى أهدافه . ولئن كان فلاحوه لا يعيشون في ضحك حقاً ، إلا أنه
يملك مصمماً وفي هذا الصنع عمال ينبغي أن تتجه اليهم عنايتنا وأقل
حركة يؤتى بها هناك كصفة أن تثير تلك النحال هل أتيت معك بشيء
من الكتب ؟

— أجل . بقليل منها . . .

— سأتيك بمزيد منها إذن . ولكن كيف لا يكون معك إلا القليل ؟
فلم يحبه نجدانوف . فسكت ماركيلوف وشرع يرسل أنفاس الدخان من
منخريه . ثم هتف بعد حين فجأة :
— يا لهذا الكولومبيزيف من خنزير . لقد أوشكت ونحن على المائة
أن أهجم عليه فأهشم وجهه عبرة لسواه . لولا أن أمامنا الآن ما هو أجدى
وأم . ولا وقت لدينا نضيقه مع بلهاء يتفوهون بهراء . لقد حان الوقت كي
نمنعهم من فعل سخيف ، أما الأقوال فليست بذات بال

فهب نجدانوف رأسه واستأنف ماركيلوف التدخين . ثم استطرد :
— ليس بين الخدم هنا سوى شخص واحد يرجى منه خير . إنه ليس
خادمك إيمان فلا فطنة لديه أكثر من فطنة السمك وإنما أعنى الساقى
كبريل (وهذا الساقى معروف بإدمانه للشراب) ، أجل إنه سكير عرييد .
ولكن الظرف لا يسمح لنا بالزمتم في الاختيار . ثم ما رأيك فى أختي ؟
وألقي ماركيلوف هذا السؤال الأخير فجأة وهو يثبت عينيه المصفرتين فى
عيني نجدانوف ، وأردف قائلاً :

— إنها أكثر من زوجها اقتداراً على التوجيه . فمارأيك أنت فيها ؟
— رأي أنها سيدة عطوف جداً ودمثة . فضلاً عن هذا فهي بارعة الجمال
— إنى شديد الإعجاب بما تتميزون به أيها السادة من أهل بطرسبورج
بالكياسة فى التعبير عن أنفسكم . ثم ما رأيك فى . . .

وتجههم وجهه فجأة فلم يتم عبارته . وبعد أن سكت لحظة قال :
— أرى أننا ينبغي أن نتحدث حديثاً طويلاً . وهذا غير ممكن هنا . فمن

يدري ؟ ربما كان هناك من يتسمع عند الباب . وعندى اقترح . فالיום يوم السبت . وسوف لا تعطى ابن أخى درسه غداً . أليس كذلك ؟

— سأعطيه درس الشعر فى الثالثة ...

— ليس هذا مهماً . إذ يمكنك أن تأتى معى إلى بيتى الآن . وقريب لا تبعد من هنا أكثر من عشرة أميال . وحياد عربى قوية توصلنا إلى لمح البصر . وهناك تقضى الليلة ومدة الصباح ، ثم أعود بك إلى هنا قبل الثالثة . فهل تأتى ؟

— بكل سرور ...!

وكان شعور نجدانوف منذ حضر ماركيلوف شعوراً جارفاً غامضاً . فهذه المسارة والمكاشفة كانت تضايقه . ومع ذلك كان يشعر من نفسه بجاذب إليه . وكان يحس أن الرجل المائل أمامه ذو طبيعة خالية من الاصطناع تتميز بالأمانة والقوة . فضلاً عن أن التقاء الغرب به فى الغابة صباحاً ، والتفسير الذى أدلت به ماريانا على غير انتظار ، كل ذلك ...

وقطع عليه جبل أفكاره صوت ماركيلوف يقول له :

— اتفقنا . تستطيع أن تستمد ريثماً أمر بالعربة أن تخرج من الاسطبل . وآمل أنك لا تكون بحاجة للاستئذان من رب البيت وربته

— بل لا بد أن أخبرها . فلا أظن الحكمة تسمح بالغيب من غير اخطار

— إذن أخبرها أنا . فهما مستغرقان الآن فى لعب الورق فلن يفكرا فى

موضوع حضورك أو غيابك

وانسحب ماركيلوف . وبعد ساعة واحدة كان نجدانوف جالساً بجواره فوق المقعد الجلدى الوثير فى عربته المتينة للريشة . وكان الحوذى الضئيل يصفر بغمه طول الوقت صغيراً مستملاً أشبه بصغير الصافير وهو يسوق أمامه الجياد الثلاثة فتسبق الريح على ذلك الطريق للمستوى الناعم

وكانت قرية ماركيلوف الصغيرة تدعى بورسيونكوف . وكل مساحتها نحو مائتى فدان تدر عليه دخلاً سنوياً مقداره سبعمائة روبل . وتبعد عن حاضرة الاقليم بثلاثة أميال . ولا بد للوصول إليها من المرور بتلك البلدة

وكان مرورهما بشوارع البلدة الاقليمية بما فيها من بيوت قبيحة الشكل

يعيش فيها الفقراء ، ومن حوانيت حقيرة للخمر يرتفع منها صباح الدمنين
العربدين ، موضوعاً لتعليقات شق من الرقيقين . إذ قال ماركيلوف :

— ان الشراب سيكون المول الذى يهدم روسيا !

وسمعه الحوذى فقال من غير أن يلتفت :

— انهم شرابون ليفرقوا أحزانهم يا سرجائى ميهايلوفتش !



ويحسن بنا الآن أن نقول شيئاً عن ماركيلوف

انه كان يكبر شقيقته مدام سيياجينا بست سنوات . وقد تعلم في مدرسة
للمدفعية تخرج منها برتبة الصول . ولما رقى الى رتبة الملازم استقال بسبب
مشاحنة حدثت بينه وبين القائد الألمانى . ومنذ هذه اللحظة وهو يكره الألمان
عموماً ، والروس الألمان على وجه الخصوص

ودب الخلاف بينه وبين والده بسبب استقالته . فلم يره بعد ذلك الى قبيل
وفاته مباشرة . فلما ورث هذه الضيقة الصغيرة استقر فيها

وفى بطرسبرج كان كثيراً ما يتصل بشبان نابهن من قوى الآراء التقدمية ،
كان يجب بهم الإعجاب كله . واتهى الأمر أن اجتذبوه الى مذهبهم فى التفكير
ولم يكن ماركيلوف قد قرأ إلا قدرأ يسيراً ، وهذا القدر اليسير يتصل
كله أو معظمه بالموضوعات التى تعنيه مباشرة . وكان فى ميعشته العادية يحافظ
على عادات العسكرية . فمعيشته أشبه بمعيشة الاسبرطيين والرهبان

ومنذ بضع سنوات وقع فى غرام فتاة نبذته بغير مبالاة لتتزوج ضابطاً ،
كان هو الآخر من عنصر ألمانى !

وحاول أن يكتب سلسلة مقالات فى أوجه نقص مدفعيتنا ، ولكن كانت
تموزه موهبة البيان والتبيين . فلم يتم مقالا واحداً ، بالرغم من تسويده صفحات
كثيرة من الورق الرماذى بخطه غير المنتظم

أما خلقه فكان من النوع الذى يتصف بالناد ، لا يخاف أحداً ولا يغفر
ولا ينسى . ويشمر فى كل شئ باهانة توجه إليه وإلى جميع المظلومين . وعقله
الضيق يدور به دائماً فى دائرة واحدة مقفلة هى الشخط على الرجعيين . أما
ما يتجاوز نطاق إدراكه فهو بالنسبة له شئ معدوم لا يمكن أن يكون له وجود

ولهذا كانت معاملته لكل من يفهم بالرجمية معاملة شاذة فظة مهما ارتفعت
أقذارهم الاجتماعية . أما مع سواد الشعب فهو على سجيته ، بحيث يعامل الفلاح
وكأنه أخ له

وكانت إدارته لضيعة لا بأس بها . وسبب ذلك أن ما حشده في رأسه من
آراء مهوشة عن الاشتراكية ، لم تكن له قدرة على تنفيذه أكثر من قدرته
على إتمام مقالاته في المدفعية

وهو على الجملة فني طيب القلب محدود الذكاء شديد التحصب والانقطاع .
يبدو في لحظات هياجه وحشاً ضارياً لا يرحم . وفي لحظات حماسه شهيداً
يستهن بالتضحية بغير تردد ، وبغير نظر الى جزاء



وأخيراً تراءت للعربة أشجار من ورأها بيت ريفي صغير . في واجهته
ثلاث نوافذ مضيئة . أما البوابة المفتوحة الواسعة فكأنها لم تعرف الاغلاق يوماً .
وفي الرحبة الملحقة بالدار حصانان من أحسنه العمل في الحقل ، وإلى جوارهما
عربة ثقل عالية . ثم برز جروان أبيضان أخذتا ينبجان نباحاً عالياً . وظهرت
أشباح تكدو وتروح في البيت . فوضع ماركيلوف يده على ركبة نجدانوف وقال :
— ها نحن قد وصلنا الى البيت . وستجد هنا ضيوفاً تعرفهم أنت جيداً ،
يد أنك لم تكن تتوقع أن تلقاهم هنا . تفضل بالدخول



مناقشة حادة

لم يكن الزائران غير صديقيه القديعين ماشورينا واسترودوموف
وكانا جالسين في حجرة الجلوس للتواضعة الأثاث في بيت ماركيلوف ، يدخان
السجائر ويغتمسيان البيرة في ضوء مصباح البترول
ولم يظهر عليهما أى أثر للدهشة حين دخل نيجدانوف ، لسابق عليهما
أن ماركيلوف كان ينوى إحضاره معه حين يعود من بيت أخته . أما نيجدانوف
نفسه فكانت دهشته عظيمة حين رآها
لم يزد استرودوموف حين دخوله على أن قال :

— طاب مساؤك . . .

في حين اشتدت حمرة وجه ماشورينا وبسطت اليه يدها في صمت .
وشرع ماركيلوف يشرح له كيف أن حضورهما من بطرسبرج كان منذ نحو
أسبوع ، وأن استرودوموف يزعم أن يقضى في الريف مدة من الزمن
لأغراض تتعلق بالنعاية . أما ماشورينا فسوف تتوجه الى بلدة (ك .) لتقابل
شخصاً معيناً لأسباب تتعلق بالقضية كذلك . . .

وانتقل ماركيلوف من هذا الى الحديث عن القضية عموماً ، وكيف أنه
قد حان الوقت للقيام بعمل جدى له أثر واقعى واشتدت حرارة كلماته
واحتد جداً ، مع أن أحداً لم يفكر في معارضته أو نقض آرائه بالقول أو
بالإشارة . . .

كان منظره غريباً حقاً وهو بعض شفته ويتدفق بصوت أجش لاعتنا تلك
النظام التي ترتكب في الوقت الحاضر ، ومؤكداً لسامعيه الثلاثة أن الظروف
أمت مهياة للقيام بالعمل بعد طول التمهيد والكلام ، فلاحق لأحد أن
يتقاعد الآن إلا إذا كان جباناً وعديداً . . . وأنه لابد من العنف بالرغم

من « نضوج » الحالة ، كما لا يستغنى الحراج عن شفرة الجراح مهما كان ذلك الحراج ناضجاً ...

وكان هذا التشبيه قديماً مطروقاً ، ولكنه شخصياً لم يكن قد قرأه إلا في الفترة الأخيرة ، لهذا يسره أن يستخدمه كما سنحت المناسبة ، وإن لم تسنح من تلقاء نفسها خلقها خلقاً !

ويبدو أن قعدانه كل أمل في أن تحبه ماريانا جملة لا يبالي بشيء يحدث له ، فكل همه موجه الى العمل ، ليجد فيه مسلاة ومتفناً لمرامه الفاشل وهذا هو سر حدته وغضبه الذي يبدو غير دافع

وأكد بعد ذلك لساميه أنه يعرف معرفة وثيقة فلاحى هذه الجهة ، كما يعرف عمال الورش والمصانع فيها . وأن من بين الفريقين نفر من الناس يصلحون جداً أن يعتمد عليهم في الحركات وضرب مثلاً بشخص اسمه « ارميا » قال عنه إنه على استعداد أن يلقي بنفسه في النار عند أول إشارة تصدر اليه !

وكان يشير يديه القويتين المشعرتين وهو يتحدث ، ويضرب يمينه المائتة ، في حين يطوح بيسراه في حركة خطائية ، فكانت تلك الاشارات ، بالإضافة الى صوته الأجنس ، وعينه التالقتين بالحماة ، سبباً في التأثير على ساميه تأثيراً كبيراً ...

ولئن ظل ماركيلوف سامتاً طول الرحلة مع نجدانوف في عزبته ، فقد انفجر الآن بسخطه المكثوم ، فنفذه ذلك في تقوية حجته ، بحيث صارت ماشورينا واسترودوموف يومئذ بين لحظة وأخرى بالتأييد لكل ما يقول أما نجدانوف فاستولى عليه شعور غريب ، وحاول في البداية أن يبدى بعض الاعتراض ، مبنياً خطر التهور في العمل قبل الاستعداد التام وتهيئة الجو ، ضارباً المثل بعمليات سابقة قضى ذلك التهور عليها فانقلبت وبالا ... ولما لم يترك له ماركيلوف الفرصة تجمعت تلك التوترات في أعصابه ، حتى أحس بها مشدودة ذات رنين في دماغه وعينه وأذنيه . وأخيراً وجد نفسه ينفجر بالكلام فجأة ، على غرار ماركيلوف في انطلاقه واندفاعه وحدته ... ومن الصعب أن تتكهن بالبواعث التي دفعته الى هذه الحماة ، أهو الندم على خوله الطويل في المدة الأخيرة ؟ أم هو السخط على حياته وحياة الناس

عموماً ؟ أم هي الرغبة في الظهور بين أصدقائه بمظهر يسترعى إعجابهم ؟
أم ترى كان لكلمات ماركيلوف تأثير شديد في نفسه حقاً ، فألهبت دماءه ؟

وظل الحديث مشتجراً بين الأربعة الى مطلع الفجر ولم ينهض
استرودوموف أو ماشورينا من مقعديهما طول الليل أما ماركيلوف
ونجدانوف فظلا واقفين على قدميهما لا يستطيعان الجلوس أو لا يفكران فيه
لا تشغالهما بنيران الحماسة المتقدة فهما وكأنما وقفة ماركيلوف الراسية في
مكانه هي وقفة ديدبان للعسكر الذي لا يتحرك ولا يتحمل ولكنه يقظ
متحضر في حين كان نجدانوف يتمشى جيئة وذهاباً كالأسد الهائج
المحبوس في قفص ...

وتناول الحديث الوسائل الضرورية والخطط القديمة للثبة وعن
الواجب الذي ينبغي أن يحمله على عاتقه كل واحد منهم ثم قاموا باتقاء
بعض كتيبات ومنشورات حزموها وأشار ماركيلوف باعطائها الى تاجر
ثرى تقدي الزعة اسمه جلوشكين ، ولشاب متحمس اسمه كيسليا كوف ...
وكذلك جرى على لسانه اسم المهندس سولومين ... فتذكر عندئذ نجدانوف
أنه سمع ذلك الاسم على لسان سيباجين في موضع الاشارة بكفائته الهندسية ،
فقال :

— أهو ذلك الشخص الذي يدير مصنعاً للقطن ؟

— هو بعينه . وينبغي أن تتعرف به واعتقادي فيه أنه شخص قدير
جداً ...

— ولكنك لم تحدثنا عن رجال مزرعتك أنت ؟ . أليس فيهم من
يعتمد عليه ؟

— بل منهم صالحون جديرون بكل ثقة ...

ولكنه لم يذكر أحداً منهم بالاسم . واستطرد يتحدث عن قوم من تجار
البلدة عاصمة الاقليم وأكد أنهم على أتم استعداد للعمل عندما يصل الأمر
الى الالتحام الجدى بالظالمين والمستغلين

وسأله نجدانوف أيضاً عن العسكريين من أهل المنطقة ، فهرش سوالفه
وقال إنه ليس متأكداً من أمرهم ، ولهذا يجب الانتظار الى أن يجمع
كسليا كوف عنهم ما فيه الكفاية من المعلومات فسأله نجدانوف وقد نقد

صبره لتكرار هذا الأسـم كثيراً على لسان مار كيلوف :
— ومن هو كـسـليـا كـوف هـذا ؟

فابتسم مار كيلوف ابتسامة ذات مغزى وقال :

— إنه شخص رائع وأنا شخصياً لا أعرف عنه إلا القليل ، لأنى لم ألقه من قبل إلا مرتين ولكن ينبغي أن ترى الخطابات التى يكتبها رسائل راقية سأريها لك وسوف تحكم بنفسك أنه فياض بالحماسة ، وما أعظم نشاطه ! لقد طاف بالروسيا طويلاً وعرضاً أكثر من خمس مرات . وكتب رسائل من عشر صفحات كبيرة من كل مكان نزل به !

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحاً عندما خمدت المناقشة وتسللوا الى مخادعهم ليختلسوا سنة من النوم

ولم يوات النوم نجدانوف فوراً ، بل جلس فى الحجرة وحيداً يحملق أمامه ، وهو يجب من تقمة الكبرياء والاخلاص التى تبدى فى كل ما يقوله مار كيلوف ورجح عنده أن الرجل يعانى أزمة عاطفية ، وأخذته الاعجاب بطريقته فى تناسى آلامه الشخصية والانصراف بكل نفسه الى ما يراه حقاً ... وحدث نفسه قائلاً :

— إنه محدود الذكاء ولا ريب .. ولكن أليس الأفضل ألف مرة أن يكون المرء مثله من أن يكون مثلى أنا ... ؟

ثم أفزعته هذه الفكرة الزرية عن نفسه ، فاحتد :

— ولكن أأست أنا أيضاً قادراً على التضحية ممتعداً لها ؟ انتظروا أيها السادة وسوف ترون ما أنا كفء له ، مع أننى شاعر ومن عشاق الجمال ... وورقد على الفراش البارد ، فسمع طرقاتاً على بابه ثم صوت ماشورينا يقول :

— طابت ليلتك . اعلم أننى جارتك ليس بيننا إلا الجدار ...

— وطابت ليلتك ... !

ثم تذكر أنها طول الليل لم تحول بصرها عنه وتساءل :

— ترى ماذا تريد منى ؟ لئن أستطيع النوم ... !

إلا أن توتر أعصابه جعله لا ينام الى أن علت الشمس فوق خط الأفق ، وعندئذ استولى عليه ناس ثقل مضطرب ... استيقظ منه صداد حاد ، فأطل من النافذة على مزرعة مار كيلوف ... فتكشفت عن مكان حقير التربة ،

عاطل من كل أنواع الجمال والثروة . . .

ولما نزل نجدانوف ، وجد ماشورينا في حجرة الجلوس يجوار السيموفار . وكانت تنتظره ولا ريب . وأخبرته أن استرودوموف رحل في مهمته ، ولن يعود قبل أسبوعين . وأن رب البيت مشغول مع فلاحيه في قطع بعض الأشجار ، منهزماً خلو الأيدي من العمل الزراعى المتاد في تلك الفترة وشعر نجدانوف بإعياء قلبى من أثر الحديث الطويل ليلة أمس ، ولم يكن راضياً عن كل ما سمعه ، فهذا التهور لا تعجبه عواقبه . ولكنه لم يجد فائدة في إعادة البحث مع ماشورينا ، لأنه يعرفها متهورة ، لا تردد في تنفيذ الأوامر التى تصدر اليها بمحذافيرها

ولما لم يجد عنده ما يقوله لها ، تخلص من حيرته بأن تناول قبعته وخرج للتجول في الحقول . والتقى هناك بعض فلاحى ماركيلوف من عتقائه وتحدث الى نفر منهم ، فلاحظ أنهم يكون الحب لسيدهم ، ويرون فيه رجلا طيب القلب عطوفاً . بيد أنهم ينكرون منه غرابة أطواره ، وخروجه على مألوف العادات التى جرى عليها أسلافه . . .

— إنه رجل ماهر . ولكنك لا تستطيع أن تفهم ماذا يقول ، مهما اجتهدت في ذلك . ولهذا فتحن نأخذنه على علاقته ، ولا نحاول فهم مرامى كلامه . . . لأنه طيب !

وبعد قليل التقى نجدانوف بماركيلوف نفسه ومن حوله رجاله ، وكان يشرح لواحد منهم شيئاً ، ويوضح يديه لزيادة البيان ، والرجل المسكين لا يفقه عنه ، ولا يفتأ يهز رأسه قائلاً :

— تماماً ياسيدى ! قولك حق ياسيدى !

فصرخ ماركيلوف في وجهه بتقرز :

— ما هذا ؟ أريد شيئاً من الاستقلال فى الرأى !

— تماماً ياسيدى ! معك حق ياسيدى !

ولما لمح نجدانوف حياه بحرارة ، ثم سار معه نيثه غيظه من عقول الفلاحين الذين يرفضون الحرية ولا يدرون ماذا يصنعون بها حتى عاقبهم نفسه وعاد الاثنان الى البيت ، حيث تناولوا مع ماشورينا طعام الغداء . وكان هذا الطعام يتكون من البيض المسلوق الجامد ، والسماك المملح ، واللحم

البارد . وبعد الغداء أمر ماركيلوف بإعداد العربة كي يعود بها نجدانوف وظل ماركيلوف طوال الغداء صامتاً والحقيقة أنه لم يصب من الطعام إلا قليلاً ، بل كان يجد أيضاً صعوبة في التنفس وسألت ماشورينا نجدانوف هل يسمح لها بالركوب معه لغاية البلدة ، لحاجتها الى شراء بعض لوازمها من حوانيتها ، فرحب بها وقام ماركيلوف بتوصيلها الى العربة ، مؤكداً أنه سيدعو نجدانوف لتكرار هذه الزيارة مراراً ، كي يتفقا على كل خطوات العمل نهائياً — كذلك سولومين يجب أن يأتي في أول فرصة فيشارك معنا في العمل — على فكرة ! ماذا عن تلك الرسائل التي أردت أن تطلعي عليها ؟ رسائل صاحبك ... ما اسمه ؟ .. أليس اسمه كسليانوف ؟ — بلى ! فما بعد سألها لك . في الزيارة القادمة ... — ثم تحركت العربة ...

وجلست ماشورينا تدخن صامته طول الوقت ، إلى أن وصلت العربة الى أبواب البلدة ، فتهدت من أعماقها وتجهم وجهها ثم قالت : — إني أشعر بالأسف له . أغنى سرجي مهابلو فتش — إنه مرهق الأعصاب . ويدولى أن أعماله وأموره مضطربة — لم أكن أفكر في هذا — فبم كنت تخكرين إذن ؟ — إنه شقي سوء الحظ . يندر من يماثله في طبيته . ولكنه عاثر الحظ فنظر اليها نجدانوف ملياً وقال : — أتعرفين عنه شيئاً معيلاً ؟ — لا شيء بالتحديد . ولكن يمكنك أن ترى بنفسك ما فيه الكفاية . والآن وداعاً يا ألكساي ديمتريتش ! — ثم هبطت من العربة ...

وبعد ساعة كان نجدانوف أمام قصر آل سيياجين ، وهو يشعر بالثعب ليلية التي قضاهم مسهداً في المناقشة والاحتداد وطالعه من النافذة وجه مشرق بالابتسام ، هو وجه مدام سيياجين ترحب بعودته ، فلم يتألك نفسه أن قال : « ما أبدع عينها ! »

الوجه الثلاثة

حضر العشاء في تلك الليلة عدد كبير من الناس . فلما انتهى العشاء انشغل
نجدانوف فرصة المهرج العام والأحداث للشجرة على غير نظام قسلسل الى
حجرته ، لأنه كان يريد أن يكون وحيداً فيخلو بأفكاره وخواطره ، وينظم
ما سجله معه من رحلته الأخيرة من آراء وانطباعات

كان يشعر كأن حوله ضباباً من نوع ما ، ينسج أمام ناظره ستاراً شفافاً
يفصل بينه وبين بقية العالم . فلم يكن يستشف مما وراء ذلك الستار غير ثلاثة
وجوه ، كلها وجوه نساء . وثلاثها تنظر إليه وتحقق فيه ملياً

وكانت هذه الوجوه الثلاثة وجه مدام سيباجين ووجه ماشورينا ، ووجه
ماريانا . فما معنى ذلك كله ؟ ولماذا هذه الوجوه الثلاثة بالذات ؟ وماذا جمع
بينها ؟ ما هو وجه الشبه الذي يؤلف بين ثلاثها ؟ وماذا يردن منه ؟

أوى تلك الليلة إلى فراشه مبكراً . يد أنه لم ينام لأنه لم يستطع النوم .
فالخواطر الواجبة كانت تحوم حوله ، وهي خواطر النهاية المحتومة .. للوت ا
ولم تكن هذه الخواطر بالغريبة عنه . فكثيراً ما قلبها في ذهنه ، فكان
يرتعد في مبدأ الأمر فرعاً من إمكان المدم . ثم أصبح بعد أن ألف تلك
الفكرة يرحب بها ، بل يكاد يشتبط لها

ونجاة تملكه انفعال من نوع خاص كان يتأبه في أوقات متباعدة ، فأجرك
أنها نوبة الشاعرية قد اتأته بوحيا . فترد برهة ثم نهض وسجل قصيدة
حزينة ، يوصي فيها رفيقه أن يحرق بعد أن يواريه التراب كل ما تخلف من
آثاره وآثار قلبه

وفي اليوم التالي ، بعد أن فرغ من إلقاء درسه، جلس في حجرة البلياردو
وإذا مدام سيباجين تدخل عليه ، ثم تلتفت حولها في حذر، وبعد ذلك أقبلت
نحوه باسمه وهمست إليه أن يتبعها إلى حجرة زيتنها الخاصة

وكانت مدام سيباجين ترتدى ثوباً غاية في البساطة من الحرير الأبيض الناصع زادها بهاء وإشراقاً . أما الكمان المطرزان فلا يتجاوزن الكوعين ، ويكشفان عن معصمين كأنما صاغهما مثال مقتدر من مرمر نارا الأبيض . ولا سبأ أن شعرها كان يتهدل طليقاً على جيدها الناصع . أما خصرها فكان يبطوqe في رقّة بالغة شريط جميل رفيع من الحرير . فكل شيء فيها كان كأنه دعوة لا تقاوم للغزل والمداعبة . ولم يكن جفناها التكران وما في صوتها من خفوت وتكسر إلا ليزيد تلك الدعوة إلحاحاً

تقدمت مدام سيباجين نجدانوف الى حجرة زينتها الخاصة ، الصغيرة المتكئة ذات الوسائد المرحة والأرائك الوثيرة ، والجو الذي يعبق بأنواع العطر الذي يبعث الحذر في الأعصاب ، وفي العقل . ودعته إلى الجلوس في مقعد كبير ثم جلست إلى جواره ، وراحت تسأله سؤال الأخت الحنون عن أحوال شقيقها كما تبدت له في زيارته الأخيرة . ولم يقفها أن تكشف عن أسفها لذلك الشقيق ، وكيف أنه عاثر الحظ في عمله ، وفي حبه

ولم يدرك نجدانوف على التحقيق إن كانت تعنى بهذا أن ماريانا لا تبادل عاطفته أم تراها تعنى أنه غير موفق إذ وقع اختيار قلبه على مثل هذه الفتاة . بيد أن ما لم يكن فيه شك هو اهتمامها باكتساب ثقة نجدانوف فيها ، وبإزالة حجاب الحياء الذي يطويه عنها . وذهبت في ذلك الى حد أن عاتبته برقة لأنه بسىء الظن بها ولا يراها جديرة بنجوى نفسها

وظل نجدانوف يصغى إليها ويطل النظر في ذراعيها الرائعتين وكثفها ، ثم يرفع طرفه بين الحين والحين إلى شفتيها الورديتين وغدائر شعرها الغزير السخى الناعم . وكانت إجاباته لها مقتضبة في البداية ، لأنه كان يشعر بضيق في نفسه وجفاف في حلقه . ثم بعد ذلك تلاشى ذلك الشعور ليفسح المجال لشعور آخر جعل يلح عليه . ومضمونه العجب لأن سيدة أرستقراطية ذات مكانة رفيعة مثلها تعنى نفسها بشخص مثله متواضع في كل شيء ، إلى درجة استفزازه أن يغازلها . ولم يستطع أن يفهم مرادها ، وإن كانت قالت في النهاية أن اهتمامها بتوثيق صداقتها به إنما هو بقصد التحدث في شأن ابنها كوليها معه بحرية أتم ومناقشة نظرية التربية الروسية الحديثة

والحقيقة أن فالتينا ميهايلوفنا لم تكن ترمى إلى ذلك . بل إن رغبة حاحمة



« وظل نجدانوف يصفى إليها ويطيل النظر في ذراعها الرائعتين وكتفها »

استولت عليها فجأة أن تقتنص هذا الشاب لمجرد لذة الاقتناص بعد أن شامت فيه التمرّد ، وهي التي تعودت أن تتعلق بها القلوب والحواس ، وتتلذذ يخور الاعجاب وإن كانت لا تستجيب لدعوة من دعاواه

كان يلد لها أن تشعر بالارتباك يسرى من مفاتها فتضطرب له حياة الشبان الأغرار ، وهي جامدة في مكانها كالصنم بعيدة عن تناول أيديهم ، لا لغة فيها ، بل لأن اللغة تواتى مزاجها البارد إنها امرأة باردة عاطفياً ، وإن كانت تغذى كبرياؤها يلها بدماء الشباب والرجل ، وتلجأ فذلك الى اصطناع الرقة والحنان . واثمة من أن ذلك التظاهر لا ينطوى على أى خطر لها

وهي تذكر بكل سرور كيف أن سكرتير إحدى القنصليات منذ سنوات حاول الانتحار يأساً من حبها بعد أن عبثت به طويلاً في قسوة بالغة ، فكفرت عن ذلك بإقامة ملجأ للعجزة على تقفها ، ودفعت للقيس مبلغاً كبيراً لإقامة صلوات دورية على روحه

فهي إذ تداعب اليوم نجدانوف وتحاول استدراجه الى جاليتها ، إنما تجري في ذلك على غريزتها النكبوئية . قلما وجدت منه ذلك الانكماش ، ولا سماً باقتضاب ردوده ، راحت تسأله عن أسرته وطفولته ، فأدركت من سخته أنها أخطأت الموضع وأصابت في وتر مومج . فحاولت أن تصحح خطأها بمزيد من الرقة ، فجعلت تحدّثه عن ذكرياتها هي وعن طفولتها لتبرهن له على تقفها ومودتها . ولكنها عبثاً حاولت ، لأنه لم يستعد هدوءه . واتهنز أول فرصة توقفت فيها عن الكلام لحظة ، قهنض وانحنى لها انحناء يسيراً ، ثم خرج « بكل بلاهة » كما قال بعد ذلك عن نفسه وهو يسترجع تفاصيل تلك المكالبة في حجرته

وعلى أثر خروجه من حجرة زيتنها مر بقاعة البلياردو فوجد ماريانا هناك وكانت واقفة وظهرها الى النافذة على بعد يسير جداً من باب حجرة سيباجين ، وقد عقدت ذراعها فوق صدرها بشدة . فلما رآته زمقته بنظرة فاحصة جداً ، وارتسمت على شفيتها للطبقين آيات الأزدراء والرناء للمهين . فوقف جامداً متجباً وقال لها دون أن يدرى :

— ألدبك ما تقولينه لي ؟

فلم تجبه ماريانا برهة ، ثم قالت :
— كلا ... بل عندى . ولكن ليس الآن

— متى ؟ ...

— يجب أن تنتظر برهة . ربما كان ... غداً . وربما أيضاً إلى الأبد .
لأدري على وجه التحقيق أى طراز من الناس أنت ؟
— ولكن ... انى أشعر أحياناً ... أن بيننا ...
قضايته ماريانا قائلة :

— ولكنك تكاد لا تعرفنى على الإطلاق . انتظر قليلا . وبعده غداً ...
أما الآن فانى يجب أن أذهب الى ... سيدتى . الى القد

فتقدم نجدانوف خطوة أو خطوتين . ثم دار على عقبه فجأة وقال :
— بهذه المناسبة ، هل تسمحين لى يا ماريانا فيكثفنا أن آتى معك الى
المدرسة ذات يوم قبل أن تغلق أبوابها ؟ أحب أن أشاهد ما تصنعين هناك .
فهل عندك مانع ؟

— بكل سرور ... ولكننى لم أكن أريد أن أحدث اليك عن المدرسة
— عن أى شىء إذن ؟
فلم تزد ماريانا على أن قالت مرة أخرى :
— الى القد ...

يبد أنها لم تنتظر الى اليوم التالى ، بل جرى الحديث بينها وبين نجدانوف
فى ذلك اليوم نفسه فى عمر من محرات الحديقة غير بعيد من الشرفة



رأها مقبلة نحوه وكانت هى البائدة بالكلام :
— يا ماستر نجدانوف . يبدو لى أنك مفتون جداً بفالنتينا مهاييلوفنا
ثم تحولت فى منعطف للمشى من غير أن تنظر اليه . فجمعها سائراً الى
جوارها وقال :

— ما الذى يدعوك الى هذا الظن ؟
— أليس هذا هو الواقع ؟ إن لم يكن كذلك فهى قد أساءت السلوك
اليوم فى بلاهة . وأستطيع أن أتصور الى أى حد أتعبت نفسها فى نصب
شباكها الواهية !

فلم ينطق نجدانوف بكلمة ، واكتفى بالنظر اليها من جانب عينه ،
فاستطردت :

— اسمع . لا جدوى من التويه . أنا لا أحب فالتيتنا مهابلوفنا . وأنت
تعرف هذا جيداً . . . وربما كنت ظالمة في الظاهر . . . ولكنى أريد منك
أن تسمعى أولاً

— وبدأ صوت ماريانا يرتد ، واحمر وجهها من شدة الانفعال ، وكانت
حين تنفعل تبدو دائماً كأنها توشك أن تنفجر باكية من الغيظ . .

— إنك ولا ريب تسأل نفسك : لماذا تضايقنى هذه الشابة بكل هذا
الحديث ؟ ولا أظنك إلا قلت هذا لنفسك أيضاً عندما حدثتك عن ماريكوف
وانحنت الى الأمام ققطفت نباتاً صغيراً مزقته بأصابعها ثم ألقته بعيداً

— أنت مخطئة في هذا يا ماريانا فيكثيفنا . بل إنى مسرور لا اكتشاف
أنتى أوحى اليك بالثقة . . .

— إننى لا أقول هذا الكلام لك لأنك توحى إلى بالثقة تماماً . فأنت
رجل غريب عقى . بيد أن وضعك ، ووضعى متشابهان جداً . فكلانا شقى .
وهذا في حد ذاته رابط قوى بيننا

— هل أنت شقية ؟

— وأنت ؟ ألسنت شقية ؟

فسكت نجدانوف ولم يقل شيئاً . فسألته بسرعة :

— أتعرف قصتى ؟ أعنى قصة ننى والدى ؟ ألا تعرفها ؟ إذن هالك هى :
لقد قبض عليهما وحكم عليهما بالتجريد من رتبته ومن كل شيء . . وأرسل
إلى سيبيريا منفياً . . . حيث مات هناك . ووالدى ماتت أيضاً . وقد تولى خالى
للىستر سيياجين أمر تربيته . . . فأنا عالة عليه لأنه رب نعمتى ، وكذلك فالتيتنا
مهابلوفنا ربة نعمتى . . . وأنا أجزيهما بالعقوق والنكران لجحود قلبى . بيد أن
خبز الصدقة مر يا أخى . ولا طاقة لى باحتمال ذلك التنازل للمهين الذى يبدو
فى نظر الناس تواضعاً من المحسنين محموداً . ولا قدرة لى على إخفاء مشاعرى .
إلا إننى حين أتألم لا أبكى ، فرط كبرياء منى

وكانت ماريانا قد أسرع الحطو وهى تلقى عباراتها الأخيرة . ثم وقفت فجأة :
— أتدري أن زوجة خالى تذهب فى رغبتها للتخلص منى إلى حد العمل

على تزويجي من هذا البغيض كولوميتزيف ؟ انها تعرف آرائى جيداً ... فأنا
في نظرها أكاد أكون عديمة - وهو ! انه حقيقة لا يهتم بي ... فأنا لست
حسنة النظر ، ولكن هذا لا يمنع من امكان يمي بمنحى باثة مفرية له . وهى
كما ترى صدقة أخرى تضاف الى صدقاتهما السابعة العديدة
— ولماذا لم ...

— ما الذى يجعلك لا تم سؤالك ؟ أحسبك أردت أن تسألنى لماذا لم أقبل
خطبة مستر ماركيوف ؟ وماذا كنت تريدنى أن أصنع ؟ انه رجل طيب حقاً ،
ولكن ليس الذنب ذنبى على كل حال فى اننى لا أحبه

ولم يلق بكلمة . وكان يبدو من اسراعها ونظرها الى الأمام انها تريد
تجنبيه مشقة التعليق . حتى إذا وصل الاثنان الى نهاية المشى اثنت ماريانا
بسرعة الى ممر ضيق ينتهى الى خيمة من الشجيرات كثيفة ، فبعها نجدانوف
الى هناك . وكان واقفاً تحت تأثير دهشة مزدوجة . فهو يتسحب أولاً لصراحة
هذه الفتاة الحجول . ويتسحب ثانياً لأنه لم يؤخذ بتلك الصراحة بل كان فى
أعماق نفسه يراها طبيعية جداً

وحظة وقفت ماريانا وواجهته بحيث كانت المسافة بين أنفهما متراً واحداً
على الأكثر ، وحدثت فى عينيه ثم قالت :

— أرجو يا ألكساي ديمتريتش ألا تعتقد ان زوجة خالى امرأة سيئة .
فهى ليست كذلك . انها فقط عادية وبمثلة ومتكلفة . وتريد أن ترى كل
انسان راكماً تحت قدميها يتقرب الى جمالها ويتعب الى قدسيها ! ولها قدرة
على تدقيق الكلام الذى تعده فى عزلتها ، وفى تعزيزه بنظرات أكيدة المفعول
من عينها الساحرتين . فخطتها بحبة للبشر جميعاً ، وقلها لا ينبض بالحبالانسان .
حتى ولا لابنها كوليا الذى تظاهر دائماً بالقلق عليه . وثق انها لن تتعب نفسها
عد أصعب واحدة من يديها لاتخاذك ان لم يكن لها فى ذلك فائدة !

وكانت أشعة من الشمس الغاربة تخرق الأغصان وتسقط على وجهها المحتقن
بالانفعال وشعرها القصير المشعث وشفتيها الرقيقتين . فأكسبها ذلك فى عينيه
صورة خاصة من صور الجمال متميزة بتعبيرها . وكان صوتها الصادق النبرات
ينسجم مع تلك الصورة للعبرة كل الانسجام . فقال لها بعد برهة تأمل :

— لماذا تظنينى شقياً ؟ أتعرفين شيئاً عني ؟ وماذا تعرفين ؟ هل تحدث أحد اليك عني ؟

— أعرف قصة مولدك وسر نسبك . وقد أخبرتنى ذلك فالتينا بمهايلوفنا طبعاً . تلك التي تعجب أنت بها كثيراً
— وماذا يدعو بك الى هذا الظن ؟
— لأنكما تحدثتما طويلاً على انفراد
— ولكنها هي التي كانت تتكلم طول الوقت

ففضت بسرهما ومشت مطرقة إلى أقرب مقعد جلست وجلس بجوارها وقالت :

— انك تريد أن ترى المدرسة . فاعلم ان العلم الأساسى فيها هو القسيس وهو رجل طيب لكنه يحشر أذهان الأطفال بالخرافات وهكذا غيرت ماريانا موضوع الحديث . وأخذ لونها يشحب كمن تخالب انفعالا

— الحقيقة ماريانا فيكنتفنا اننى فوجئت بهذا الحديث الذى جعلنى وجعك صديقين حميمين جداً . ولكن هذا هو ما كان ينبغي أن يكون . فان بيننا تقارباً فى الروح لم نحتاج لادراكه الى التمييز اللفظى من قبل . ولكن هذا يتيح لى أن أتحدث اليك عن نفسى فى صراحة كصراحتك . ولكن ألا يفهم خالك وضعبك الحقيقى ، وهو فيما أرى رجل لا يخلو من ذكاء وعطف ؟

— ان خالى موظف أولاً وقبل كل شيء . ثم هو بعد ذلك واقع تحت تأثير زوجته الحسناء البارة فى كل شيء . ولا يرى إلا بينها . ولكن ثقب ان ألاعيها لا تتال منى شيئاً ، لأننى حرة الروح تماماً . فان كنت أقول اننى شقية ، فليس ذلك بسبب متاعب الشخصية ، بل بسبب ما أشعر به من ضنك شديد يخيم على نفوس الروس جميعاً . لهذا أثور من أجلمهم وأتألم . وأنا على استعداد أن أذهب الى المقصلة من أجلمهم . وكم يسعدنى أن أنفى الى سيبيريا كما نفى أبى ! فكم احتقرت هؤلاء الأثرياء النعمين بعد نفى أبى الى سيبيريا . ولكنى شعرت بالارتياح عندما مات بعد العفو عنه وعودته من هناك معلم الجسد والروح . وفى هذه اللحظة تراءى من بين الأغصان شبح امرأة عن بعد ، قهضت ماريانا فجأة وهى تقول :

— ها هي صاحبك قد أرسلت جاسوسها . فهذه الخادمة هي المكلفة بمراقبتى وإبلاغ حركاتى وسكناتى الى سيدتها . وقد أدركت زوجة خالى بفطنتها اننى مجتمعة بك . ولاشك ان ذلك سيسوؤها منك جداً ، ولاسيما بعد خلوتكما العاطفية الرقيقة أخيراً . وعلى كل حال آن أن نعود قهض نجدانوف ، ونظرت اليه نظرة طفولة بريئة وسألته :
— أرجو ألا تكون غاضباً منى . وألا تظننى أسمى لا كتاب عطفك ومودتك . كل ما هناك انك شقي مثلى ، وطبيعتك ... سيئة مثل طبيعتى ! وعلى كل حال سنذهب الى المدرسة غداً معاً . فنحن منذ الآن صديقان



انقضى أسبوعان آخران ، وكل شيء يجرى فى تياره المألوف من حيث نظام المعيشة والقاء الدروس وسهرات لعب الورق فى المساء وجعل نجدانوف نصب عينيه ما اقترحه باكلين والآخرين ، وبذل كل ما فى وسعه للاتصال بالفلاحين . بيد انه اكتشف ان جهوده لم تتجاوز محاولة فهمهم ودرس حياتهم وطباعهم بالملاحظة . أما العناية فلم يفعل فى صددها شيئاً على الإطلاق !

وكان نجدانوف قد أمضى حياته كلها فى المدينة . ولذلك ألقى بينه وبين أهل الريف هوة قدر عجزه عن اجتيازها . ولذلك طالب له أن يدرس ذلك الفريق من الناس باهتمام ذهنى ووجدانى . وكانت هذه هى اللذة الوحيدة التى أدخلت عنصر التشويق فى تلك الأيام التى تتوالى أشباهها فى بطء شديد

والواقع ان تعبيراً غريباً بدأ يطرأ على نفسية نجدانوف . فهو يشعر انه غير راض عن نفسه ، أى عن حموله وكسله ، لهذا جعل يلوم نفسه لوماً مرأ . وفى الوقت نفسه كان يحس فى أعماق سريره بذرة من بذور السعادة تهدىء من سخطه وتمسح جراحه . فخل كانت هذه السعادة الطارئة التى لم يشعر بها فى أى يوم من أيام حياته من قبل نتيجة الحياة الريفية الهادئة ، والصيف ، والهواء الطلق ، والغذاء الجيد ، والسكن الجليل ، أم تراها راجعة الى انه كان يتذوق لأول مرة فى حياته ما فى الاتصال بروح امرأة من عذوبة وراحة ؟

سؤال من العسير أن نجيب عليه جواباً شافياً . ولكنه على كل حال كان يشعر بالسعادة ، على الرغم من شكواه التى كان يسطرها الى صديقه الحميم سيلين

ولكن هذه السعادة وا أسفاه أصيبت بالانتقاض في سحابة يوم واحد
ففي صباح ذلك اليوم تلقى نجدانوف رسالة من فاسيلي نيقولايفتش يأمره
فيها هو وماركيلوف ألا يضيع لحظة في الوصول الى اتفاق مع سولومين وناجر
اسمه جولوشكين من قدماء الأنصار يعيش في بلدة (س..)
واضطرب نجدانوف لهذا الخطاب كثيراً ، لما في طوايا لهجته من تأنيب له
على خموله . فطفا سخطه على نفسه من الأعماق الى السطح في قوة وشمول
وفي ذلك اليوم حضر للعشاء الزائر المعتاد كولوميتزيف . وكان في حالة
هياج وانزعاج . فبادر بصيح وهو يكاد يبكي :

— أيمكن أن تصدقوا هذا ؟ أتعلمون أى فظائع قرأت في الصحف ؟ ان
صديقى المحبوب ميكال ، الأمير الصربى ، قتله نفر من القوغاء في بلغراد ! وهذه
هى العاقبة التى تنتظرنا جميعاً على يد الثوريين ان لم نضع لنشاطهم جميعاً حداً
وكان تعليق سيباجين على ذلك ان هذه الجريمة القطيعة ربما لم تكن من
صنع الثوريين الذين يضيهم كولوميتزيف . فربما لم يكن أحد منهم في بلاد الصرب .
بل ربما كانت من صنع الحزب السياسى المنافس لحزب الأمير . وأى كولوميتزيف
أن يصفى لشيء من ذلك ، وراح يعدد مناقب الأمير الفريد وكيف كان يوليه
جبه ، وكيف أهدها يوماً بندقية جميلة . وصب اللعنات على الثوريين والعميين
والاشتراكيين . ثم ثبت عينيه على نجدانوف كأنه يقول :

— اننى أعنيك أنت بهذا !

ولم يطق نجدانوف أكثر من ذلك . وشرع بصوت مضضع يدافع عن
مبادئه التى هى مبادئ وآمال وأهداف الجيل الحديث . فكان هذا كافياً
لتحول كولوميتزيف الى السباب الصريح . فأنحاز سيباجين الى جانب نجدانوف .
وانضمت هالتينا مهابيلوفنا بطبيعة الحال الى فريق زوجها . أما ماريانا فلم تحرك
وكأنها تحولت الى حجر

واستشهد كولوميتزيف بأقوال وكتابات لاديسلاس . فلما سمع نجدانوف
هذا الاسم يتكرر على لسانه عشرين مرة ضرب المائدة بيده وصاح :

— ان لاديسلاس ليس إلا جاسوساً !

فكاد كولوميتزيف يفتق من الغيظ وهو يصرخ :

— ماذا تقول ؟ كيف تجرؤ أن تقول هذا عن رجل يحترمه أناس مثل

الأمير بلاز نكرانف والأمير كوفريشكين !

فهر نجدانوف كتفيه وقال يبرود :

— يا لها من تزكية حميدة ! إن هذا الأمير كوفريشكين ...

فصرخ كولوميتزيف كالهجنون :

— ان لاديسلاس صديقي ، وزميلي ، وأنا ...

مقاطعه نجدانوف قائلاً :

— وهذا لا يشرفك . فعناءك تشاركه في طريقة تفكيره . وفي هذه

الحالة ينصرف اليك أنت أيضاً كل ما وصفته به

فاصفر وجه كولوميتزيف حتى حاكى وجوه الموتى وصاح :

— ماذا ؟ كيف ؟ انك يجب ... وفي الحال ...

فسأله نجدانوف بأدب ساخر : « ما هذا الذي تريد أن تصنع بي وفي الحال ؟ »

وكان الله وحده يعلم الى أى مدى كان من الممكن أن تصل هذه المشاحة

بين هذين العدوين ، لولا ان سيياجين وضع نفسه حداً لها وهى فى ابانها .

إذ رفع صوته وقال بلهجة الحزم والجد التى تميز فيها سلطة رب الدار بسلطة

رجل الدولة انه لا يقبل أن تقال تحت سقفه أو على مائدته مثل هذه الألفاظ

الجارحة . وانه وضع منذ زمن طويل قاعدة مقدسة هى احترام جميع المذاهب

والآراء ما دامت تلتزم حدود الأدب واللياقة . وانه إن كان لا يجد مناصاً من

الاعتراض على تعبيرات نجدانوف الضيقة الصادرة عن حداثة سنه ، فهو كذلك

لا يستطيع أن يقر كولوميتزيف على هجائه المرة ضد المعسكر الآخر ، تلك

الهجمات التى تمزى الى فرط اهتمامه بالصالح الاجتماعى العام . وعقب على ذلك بقوله :

— تحت سقف آل سيياجين لا وجود لثوريين ولا وجود للجواسيس .

وإنما الجميع قوم شرفاء أمناء يحرمون على حسن التفاهم وتبادل وجهات النظر

فى إخلاص ومودة أخوية تضع حداً لاختلافاتهم بحيث تنتهى بمصافحة

وسكت نجدانوف وكولوميتزيف فلم ينطقا بعد ذلك بكلمة فى هذا الموضوع .

وإن لم يتصالحا . لأن الفهم التبادل بينهما لم يكن قد حان موعده بعد . بل

الواقع انهما لم يشعرا بكرهية وعداء كشعورهما بذلك فى تلك اللحظة

وانتهى العشاء فى جو من الانقباض . ولما حاول سيياجين إعادة المرح

يمض نواذره فشل فى ذلك

المكاشفة

اتهمز نجدانوف أول فرصة لائحة بعد العشاء وانسحب إلى حجرته وأقل عليه بابها ، لأنه كان لا يريد أن يرى أحداً على الإطلاق ماعدا ماريانا وكانت حجرتها تقع في أقصى النهاية من ذلك الدهليز الطويل الذي يقسم الطابق العلوي قسمين ولم يسبق لنجدانوف أن ذهب إلى هناك إلا بضع لحظات . ومع هذا خيل إليه أنها لا تمنع في أن يطرق بابها

وكانت الساعة قربت من العاشرة وهو يذرع الحجرة في اضطراب . ثم فتح بابها واخترق الدهليز وطرق باب ماريانا . فلم يتلق رداً . فطرق مرة أخرى . ثم حرك مقبض الباب فوجده مقفلاً من الداخل . فرجع إلى حجرته . ولكنه لم يكده مجلس حتى فتح الباب بهدوء وسمع صوت ماريانا تقول له :
— هل كنت أنت يا ألكساي ديمتريتش الذي طرقت بابي ؟

قفز في الحال واندفع إلى الدهليز ليراها واقفة خلف الباب وفي يدها شمعة ، وشحب وجهها الجامد الأسارير . فهمس قائلاً :
— نعم ... كنت ...

فقالت وهي تدور لتتجه نحو حجرتها :
— إذن تعال ...

ولكن قبل أن تصل إلى نهاية الدهليز دفت باباً منخفضاً ففتحته ورأى نجدانوف أمامه حجرة صغيرة تكاد تكون خالية من الأثاث
— يحسن أن ندخل إلى هنا يا ألكساي ديمتريتش . فهنا سوف لا يقطع علينا حديثنا أحد

فأطاع نجدانوف ووضعت ماريانا الشمعدان على حرف نافذة . ثم التفت إليه وبدأته الكلام :

-- أنا فاهمة لماذا تريد أن ترانى فمن المؤلم لك جداً أن تعيش فى هذا البيت . وكذلك حالى أنا
 -- أجل يا ماريانا فيكتيفنا . أردت أن أراك . ولكنى لا أشعر بالنعاسة لوجودى هنا مادمت قد عرفتك
 فابتسمت ماريانا فى إطراق وقالت :
 -- شكراً لك يا الكساي ديمتريتش . ولكن خبرنى . أتوى حقاً أن تمكث فى هذا البيت بعد هذا الذى حدث ؟
 -- لا أظن أنهم يقونى . بل سوف يفصلونى ...
 -- ولكن ألا تتوى أن تذهب من تلقاء نفسك ؟
 -- أنا ؟ .. كلا ! ..
 -- ولم لا ؟ ..
 -- أتريدى أن تعرفى الحقيقة ؟ .. لأنك هنا !
 فاطرقت ماريانا وابتعدت عنه قليلا . فاستطرد نجدانوف قائلاً :
 -- ومن جهة أخرى يجب أن أبقى هنا . إنك لا تعرفين شيئاً . ولكنى أشعر أن من واجبى أن أطلعك على كل شيء
 واقترب من ماريانا وأمسك يدها . فلم تسحبها . بل نظرت فى وجهه بثبات :
 -- اسمعى ! اسمعى ! ..
 ومن غير أن يجلس فى أحد المقاعد الثلاثة الموجودة فى الغرفة استمر واقفاً تمسكاً بيدها فى يده وقد رفعت حماسته من درجة حرارته فانطلق لسانه بصورة أدهشته شخصياً . وراح يروى لها الأسباب السرية لقبوله العمل لدى سيباجين . كما أخبرها عن اتصالاته السياسية وعن ماضيه بما فيه من أشياء كان حريصاً على إخفائها عن الناس كافة . ولم يترك خافياً عنها رسائل فاسيلي نيقولايفتش وسيلين . وكانت هى تصفى إليه بانتباه وهى مبهورة فى أول الأمر . ولكن ذلك الشعور تلاشى وفاض قلبها بالامتنان والفخر والولاء فلع وجهها وأشرقت عيناها . ووضعت يدها الأخرى على يد نجدانوف ، وانفجرت شفتاها فى نشوة . وأصبحت جميلة جمالاً رائعاً
 ولما فرغ من كلامه أخيراً ورأى وجهها لأول مرة وهو على هذه الصورة تنهد تنهداً عميقاً وقال :

— — أشعر براحة عظيمة لأننى أفضيت اليك بكل شيء !
فأجابت هامة فى صوت يفيض بالأخلاص والرهبة :
— وما كان أحسن هذا الحديث ! فهو يعنى أننى سأكون نافعة لك فى
خدمة القضية . لأننى مستعدة أن أقوم بكل ماتفرسه على المكافئين ، وأن
أذهب الى أى مكان فى سبيل القيام بتلك الخدمة . لأننى كنت مشتاقة منذ
زمن طويل للقيام بهذا الكفاح الذى يجدد أن توهب له الحياة
ثم توقفت عن الكلام فجأة ، لأنها شعرت أنها لو زادت حرفاً واحداً
لانهمرت دموعها . فكل شيء فيها كان قد انصهر كالشمع ، واستولى عليها
ظمأ شديد الى النشاط والتضحية بالذات

— وفى هذه اللحظة ضمت خطوات من الجانب الآخر من الباب . ومر
بسرعة وقع هذه الخطوات المهازرة ، فتباعدت ماريانا وخلصت يديها من
يديه ، وارتسمت على وجهها أمارات السرور والجرأة والتحدى ثم قالت :
— أنا أعرف من الذى كان يتسمع وراء الباب فى هذه اللحظة . إن
مدام سيياجين تتلصص على حديثنا . ولكن هذا لا يهمنى !
وكان صوتها مسموعاً كى تلتقطه بوضوح الأذن التى تتسمع . ولما تلاشى
وقع الأقدام التفتت ماريانا الى نجدانوف وسأته :

— والآن ماذا أصنع ؟ كيف أساعدك ؟ خبرنى بسرعة !
— لا أدرى حق الآن . قد تلقيت مذكرة من ماركيلوف ...
— ومضى تلقيتها ؟ متى ؟
— هذا للساء . إذ يجب أن تتوجه لتقابل سولومين فى المصنع غداً
— إن ماركيلوف رجل رائع ! إنه صديق حقيقى !
— مثلى أنا ؟ ..
— كلا .. ليس مثلك !
— وكيف ذلك ؟
فأشاحت بوجهها فجأة ثم قالت له :

— ألم تدرك بعد ماذا أصبحت بالنسبة لى ، وما هو شعورى الآن ؟ !
فجعل قلب نجدانوف يدق دقاً عنيفاً وأطرق برأسه . فهذه الفتاة الفقيرة
اليتيمة الوحيدة التى تحبه قد أصبحت فى هذه اللحظة تمثل له كل ما هو حق

وكل ما هو خير على وجه الأرض . فحبها يتجسد حب الأم والأخت والزوجة
وكل ما لم يعرفه في حياته . بل والوطن والسعادة والكفاح والحريّة !
— غداً سأذهب في تلك للهمة . وعندما أعود سأخبرك بكل ما قرراه .

فند الآن سأطلعك . أولاً بأول على أفكارى وأعمالى
فتشبث بيديه وقالت له :

— وأنا أعدك أن أفعل ذلك أيضاً

— من السجيب أننا اكتشفنا حبنا ومع ذلك لم تتبادل الحديث في هذا
الموضوع لحظة واحدة

— لأنه لم يكن لذلك لزوم

وبحظة أُلقت بذراعيها حول عنقه ، وحفظت برأسها على صدره . ولكلّهما
لم يتبادلا القبلات . وقد كان ذلك حريّاً أن يبدو لهما عملاً سوياً مبتدلاً
شنيعاً . يد أيّهما تبادلا ! تنفط على اليدين عند الفراق

وتناولت ماريانا الشمة التي كانت قد تركتها على حافة النافذة . فنفتحتها
وتسللت في الظلام بسرعة الى نهاية الدهليز ، فدخلت حجرتها وخلعت ملابسها
ثم دخلت فراشها ، وهي تحس للظلمة من حولها ألفة وأنساً



استيقظ نجدانوف في صباح اليوم التالى وهو لا يشعر بأى ضيق للذى
حدث في الليلة السابقة . بل كان على المكس مملوء النفس بنوع من السرور
كأنه قام بأداء مهمة كان ينبغي عليه أن يقوم بها منذ أمد طويل

واستأذن من سيّاحين في إجازة مدة يومين . فأذن له ولكن في شيء
من الصرامة وانطلق نجدانوف الى دار ماركيلوف بعد أن التقى بماريانا
برهة قصيرة فوجد حالتها النفسية تشبه حالته من السرور والثقة والارتياح
ورجته أن يخبرها بكل ما يجرى في الاجتماع الذى سيتم في المصنع

وقد وجد ماركيلوف في حالة نفسية سيئة من الوجوم والسخط . وبعد
وجبة مرتجلة ركبا عربة ماركيلوف للمهودة الى مصنع القطن الذى يديره
ويعيش فيه سولومين . وكان سولومين على علم سابق بقدمهما . فما ان وقعت
العربة عند أبواب المصنع حتى ادخلا الى جناح قبيح الصورة هو المقر الذى
يقم فيه المهندس المدير . وكان المدير نفسه في البناء الرئيسى للمصنع ، فأسرع

أحد العمال ليأتى به . وقال نجدانوف بعد أن قلب جصره في أرجاء المكان
— لقد سمعت الكثير من مصادر شتى عن كفاية سولومين للمنازة .
ولهذا أعترف أنني دهشت لتلك القوضى التي لم أكن أتوقها

— لا ينبغي أن تدعش . فسولومين يجب أن يروض نفسه على الانسجام
مع البيئة الواقعية للعمال الروس ومع صاحب المصنع نفسه ، وهو من أبشع
مصاصي السماء بين تجار موسكو

وفي هذه اللحظة دخل سولومين فاذا به يفاجأ في شخصه بما خيب
آماله . إذ كان يبدو لأول وهلة وكأنه فنلندي أو سويدي ، فهو طويل رفيع
عريض الكتفين لا لون لحاجبيه أو رموشه ، طويل الوجه قصير الأنف
ضخمه ، له عينان صغيرتان يميل لونهما إلى الخضرة وشفتان غليظتان غير
منتظمتين وأسنان كبيرة ، وذقن مقسوم من النصف مكسو بشبه لحية خفيفة .
وقد ارتدى ملابس ميكانيكي ذات جيوب منتفخة ملانة بأشياء مختلفة .
وحول عنقه لفاعة من الصوف وفي قدميه حذاء ملطخ بالشحم . وكان يراقه
رجل في نحو الأرضين يرتدى معطف الفلاحين ويبدو وجهه كوجوه النجر
جينين سوداوين ناقبتين كالفتحم الحجري . وكان اسمه بافل

وتقدم سولومين يبطء نحو الرجلين وشد على يديهما من غير أن يقول
كلمة واحدة . ثم فزع درجاً أخرج منه خطاباً مختماً ، أعطاه لتناحه بافل
من غير أن يقول له شيئاً أيضاً فقاد بافل الحجرة على الفور ثم تمطى
سولومين وطوح قبعته بعيداً وجلس على مقعد من الخشب ثم أشار إلى الأريكة
كى يجلس عليها نجدانوف وماركيلوف

وقام ماركيلوف أولاً بتقديم نجدانوف ، فصاحفه سولومين مرة ثانية ثم بدأ
الكلام في الهمزة بعد أن سلم نجدانوف إلى سولومين رسالة فاسيلي نيقولايفتش
قرأها سولومين يبطء ثم قال بصوته الأجش الفياض بالقوة والعذوبة :

— أخشى أن يكون الحديث هنا غير مناسب . فلماذا لا نذهب إلى بيتك
ياماركيلوف ؟ ولا سيما أن عربتك موجودة . ويمكننى أن أتم أعمالى العاجلة
وأستمد للذهاب في مدى ساعة ، فالمسافة لا تزيد على سبعة أميال . وتقضى
هذه الليلة عندك

— بكل سرور .

وبعد ساعة رحلت العربية بالرجال الثلاثة . ولكن نحب هنا أن نذكر كلمة عن سولومين . فهو الابن الوحيد لقسيس . وله خمس أخوات تزوجن جميعاً من قسوس . وكان هو كذلك حرياً أن يصبح قسيساً . بيد أن أباه رضى لرغبته فدرس الرياضيات والميكانيكا . ودخل مصنعاً يديره رجل انجليزى أحبه كابنه . ثم بعث به الى منشستر حيث قضى سنتين تعلم فيها ميكانيكا المصانع كما أتقن فيها اللغة الانجليزية . ولما عاد استخدمه هذا التاجر للسكوفى مديراً لهذا المصنع منذ زمن وجيز . وكان شديد التدقيق على مرؤوسيه ، وهى طريقة تعلمها عن الانجليز . بيد أن مرؤوسيه كانوا يحبونه رغم هذا كله وكانوا يعاملونه كما لو كان واحداً منهم . وأصبح سولومين موضع غفر والده الذى لم يكن يجب عليه إلا شيئاً واحداً ، وهو أنه لم يتزوج ويستقر

وفى المناقشة التى دارت فى العربية حول خطط المستقبل بين ماركيلوف ونجدانوف ظل سولومين صامتاً إلى أن تعرضا للأمال التى يبينانها على ضم عمال مصنع القطن الى الحزب فاذا به يقول :

— ان العمال فى روسيا ليسوا من طراز العمال فى الخارج . لهذا لا ينبغي أن نعقد عليهم آمالا كبيرة . أما الفلاحون فقد تحسنت أحوالهم المالية فى اللفة الأخيرة حتى صار منهم عدد لا بأس به من الملاكين ، ثم إنهم لا ينظرون إلا الى مصالحهم الفردية للبشارة ومعظمهم جهلاء كالأنعام الى من تلجأ إذن ؟

فظلت الابتسامة معلقة على شفتيه ولم يجب

ولما وصلت العربية إلى بيت ماركيلوف استؤنفت المناقشة . وأظهر نجدانوف حماسة كبيرة . وجعلت الكلمات تتدفق من فمه ، قهض سولومين بهدوء وعبر الحجره بخطوات واسعة حيث أغلق نافذة كانت مفتوحة فوق رأس نجدانوف مباشرة وقال :

— خشيت أن تصاب بالبرد . لأنى أراك تتحمس قترفع درجة حرارتك ! وبدأ نجدانوف يسأله عن مصنعه بالذات ، وهل أمكن إنشاء أى خلية تعاونية فيه أو اتخاذ أى خطوة كي يشارك العمال فى الأرباح — يا عزيزى ! لقد أسست مدرسة وعبادة صغيرة . ولكن هذه الخطوة اليسيرة لعبت من صاحب المصنع مقاومة كمقاومة الدب

وتطرق الحديث بعد ذلك إلى أنواع الضغط والعسف التي يتلقاها الكادحون في كل مكان . ولما تعرضوا للأحكام القضائية الظالمة التي تصدر بها ثمرات نشاط العمال لرفع مستوى معيشتهم ، تحمس سولومين وظهرت فيه بوادر الغضب وجعل يندق المنضدة بيده

ولم يشعر الثلاثة إلا وقد دقت الساعة الرابعة صباحاً . وكان ماركيلوف ونجدانوف في حالة من الإعياء لا مزيد عليها . أما سولومين فكان لهدوئه معظم الوقت لا يشعر بأي تعب . وآوى كل منهم إلى فراشه بعد أن اتفقوا على زيارة التاجر جولوشكين . وإن كان سولومين قد أبدى شكه في جدوى مثل تلك الزيارة



الغزة .. والبطل

كان ضيفاً ماريكوف نائمين عند ما حمل رسول من قبل شقيقته مدام سيياجين رسالة اليه . وفي هذه الرسالة تحدثت عن بعض تفاصيل عائلية . وطلبت منه أن يرز كتاباً كان قد استعاره . وأضافت في حاشية إن مبعودته ماريانا وقمت في غرام نوجدانوف الذى يادلها عواطفها . وان هذا ليس من قبيل الاشاعات ، بل انها تبني هذا الخبر على ماراته بينها وسمته بأذنها

واسود وجه ماريكوف حتى حاكى وجوه الموتى . بيد انه لم ينطق بحرف . وأمر باعادة الكتاب للمستعار . وحين رأى نوجدانوف يهبط من حجرته مرحب به كالعادة . ثم أعطاه مجموعة خطابات كسلياً كوف ليقرأها وغادره الى المزرعة . فصاد نوجدانوف الى حجرته ليتفرغ لتلك القراءة

وبعد برهة اجتمع الأصدقاء الثلاثة لتناول الشاي في قاعة الطعام . ولكن لم تجدد بينهما مناقشات الأمس . بيد ان سولومين كان الوحيد الذى كان هادئاً في صمته . أما نوجدانوف وماريكوف فكان يبدو عليهما الاضطراب الداخلى . وبعد الفراغ من الشاي شدوا الرحال إلى البلدة

وكان التاجر جولوشكين الذى سبراه نوجدانوف لأول مرة ابن تاجر عقاير ترى جداً ، ولكنه لم يزم ثروة أبيه لأنه كان أيقورى الزعة لا يشعر بأى ميل نحو الأعمال الجديدة . وكانت منه نحو الأربعين ، بديناً قبيح الشكل ، به آثار الجدرى ، وله عيان صغيرتان أشبه بجنى خنزير . وكان يتكلم بسرعة ، ويزدرد جانباً من كلامه ، ثم ينفجر ضاحكاً بين كل عبارة وأخرى بغير مناسبة . وهو على الجملة يقع من النفس موقفاً يدل على التباء والفرور والجلافة . وكان يعتبر نفسه مثقفاً لأنه يرتدى ملابسه على الطريقة الألمانية ، ويفتح بيته لكل مثقف (وهذا البيت ليس غاية في النظافة) ويرتاد المسارح ، وله عشيقات ومحظيات بين الراقصات ، ويتحدث برطانة غير منهومة لأحد من أهل باريس وإن كان

يسمى رطانة فرنسية . وهدفه الأكبر في الحياة أن يخدم مشهوراً يشار إليه بالبنان بأي ثمن . وكانت هذه الشهوة سبب ارتعائه في أحضان التقديميين والثوريين كي يدوى اسمه بين شبان الجيل الجديد . ولما كان غير متزوج ، فأولاد شقيقته يخفون به دائماً طمعاً في ثروته . ولكنه يعاملهم أسوأ معاملة وينعتهم بأقبح النعوت

ووجد أصحابنا الثلاثة التاجر جولوشكين في مكتبه ، وقد التفت في عبادة طويلة ووضع بين شفتيه سيجاراً ضخماً ويتظاهر بمطالعة إحدى الصحف . فلما دخلوا عليه قفز واقفاً ، واندفع نحوهم ، واحتقن وجهه بالحساسة ونادى بأعلى صوته يطلب لهم للرطبات بسرعة ثم بعد أن ألقى بعض أسئلة عن الصحة والحالة قهقهة ضاحكة من غير سبب وقبل أن يسمع الإجابة . وعلق على تقديم نجدانوف إليه بضجة كبيرة من الترحيب وهو يشد على يده بحرارة ويكاد يعاها كأنه يعرفه من قبل . وراح بعد ذلك يتحدث نجدانوف عن نفسه وعن جهوده الباركة في سبيل الحركة وفي سبيل الطبقة الكادحة التي كان يسميها « البروليتاريا » ويكرر تلك الكلمة كثيراً مزهواً بأنه يعرف كيف ينطقها

وبعد أن تناولوا للرطبات دخل رجل نحيف طويل العنق أشبه بمرضى السل فأنحى للجميع ثم اقترب من جولوشكين فأسر في أذنه شيئاً . وعندئذ صاح بسرعة :

— دقيقة واحدة ! اني أيتها السادة مضطر أن أعتذر إليكم . فهذا فازيا سكرتيري قد أخبرني الآن بنياً يحتم علي أن أفرق عنكم برهة . ولكني آمل أيتها السادة أن تحضروا جميعاً لتناول الغداء على مائدتي في الساعة الثالثة . وبعد ذلك سيتسع أماننا الوقت كما نشاء فتحدث بحرية . وبهذه المناسبة أعلن تبرعي بألف روبل للحركة

ونفض فراقق ضيوفه إلى الباب وهو يكرر بصوت مرتفع انه سينتظرم في الثالثة . فكان ماركيلوف هو وحده الذي أجابهشاً كراً . أما سولومين فقال بمجرد أن صاروا وحدهم في الشارع أنه يريد أن يعود إلى المصنع فوراً لأنه لا فائدة من تضيق الوقت مع رجل كهذا أشبه بالعزة للشهورة التي لا تدر لبناً وليس لها صوف ، فقال ماركيلوف :

— بل للعزة صوف . قد وعدنا بألف روبل . وإن كنت لا تحبه فاعلم

اننا لا يمكن أن ندقق في هذه المرحلة في اختيار الأنصار . وأرجو منك أن تبقى معنا . وستنقضي الوقت الى الساعة الثالثة في الحديقة العامة ، فالجو بديع ! وأمام إلحاح ماركيلوف أذعن سولومين وذهب الثلاثة الى الحديقة وهناك التقوا بصديق قديم من أصدقاء موسكو هو الأعرج باكلين ، وكان بالبلدة في زيارة لبعض ذوى قرياه قضوا معه الوقت الى الوعد للضروب



ورغب باكلين أن يذهب معهم الى بيت جولوشكين . وقد شاقه بعد الذي سمعه عنه أن يعرفه . وقابل جولوشكين الشبان الأربعة بضجته المألوفة وضحكاته الرنانة . وأظهر سروراً كبيراً لحضور باكلين والتعرف اليه — لم أكن محتاجاً أن أسأل هل هو منا أم لا . إن سباه على وجهه ثم بدأ يتحدث عن الحاكم . وكيف استدعاء لزيارته وصنع رأسه بحديث مؤسسة خيرية يريد منه . أنه لها . ولم يفهم الشبان الأربعة ما الذي سر التاجر أكثر ، هل هو تشرفه . سابلة الحاكم ، أم سنوح الفرصة له كي ينال منه أمام هؤلاء الشبان التقديميين

— والآن أيها السادة هيا بنا الى اللانة !

وكان باكلين يبدو ملتزماً جداً بما يراه ويسمعه من أحوال وأطوار ذلك الشخص . وظن رب البيت ان الأعرج محجب به . وهو لا يدري أى تعليقات مسمومة كان يهمس بها في أذن صديقه القديم نجدانوف بين الحين والحين ولم يلبث نجدانوف أن سم هذا الجو القوي كانت الأحاديث تجري فيمرانة بقصد الدعاية أو التظاهر ، فقال بكل جد :

— لقد حان الوقت أن ندع اللعب بالألفاظ . فهذا وقت العمل لا وقت الكلام ! ونحن والحمد لله قنبا بالتمهيد للحركة بحيث نستطيع أن نقف على أرض صلبة

ويظهر ان الشراب كان قهيلاً ، لأن نجدانوف بدأ في الحال يناقض نفسه بقوله :

— ولكن أرجو منكم أن تدلونى أولاً على العناصر التي يمكن الركون اليها في اقيام بحركة جدية ! إن مجتمعنا فيما أرى لا ينظر الينا بعين الثقة . وسواد الشعب ما زال غارقاً في الجهالة !

ولم يجبه أحد . لأن كل واحد كان مشغولاً بنفسه بعد أن دار الشراب
برأسه . وأخذ ماركيلوف يصيح بنضب وهو يدق المائدة يده :

— يجب أن نخذر من المعتدين !

فهز سولومين رأسه وقال :

— كان للعدولون يحملون حق الآن لحساب الطبقات العليا . ونحن يجب

أن نتجه الى الطبقات الدنيا !

وعندئذ قفز جولوشكين واقفاً على قدميه ، وألقى إلى الوراء برأسه المهتقن ،
وقد اختلطت في عيائه الحماسة بالنشوة الحيوانية وصلاح :

— مرحى مرحى ! انى أعلن تضحيتي بألف أخرى . انهض الآن يا فازيا

وهات المبلغ . عده جيداً لكي لا تخطيء .

ونهض فازيا لينفذ أمر سيده . وإذا باكلين الذى كان أكثر الجميع افراطاً

في الشراب وقد نهض شاحب الوجه يتصبب جبينه عرقاً ولوح بذراعيه في
الفضاء ثم أخذ يصيح بصوت متضضع من مفعول الخمر :

— التضحية ! التضحية ! ياله من استعمال مبتذل لكلمة مقدسة ! أينها

التضحية ! اعلى انه ما من مخلوق بشرى يستطيع حقاً أن يرقى الى مستواك

السامى .. ما من انسان يقدر أن ينهض بوصاياك ! أو على الأقل ليس هذا ممكناً

لأى واحد من الحاضرين هنا الآن ! وهذا الأحمق ، زكية النقود ! انه يفتح

فه القدر ويتقيأ منه بضع روبلات ، ثم يتشوق بكلمة التضحية ! ها ها ! وينتظر

أن يسمع منا الثناء ، وأن نضع على هامة هذا الوغد إكليلاً من القار !

وإما أن يكون جولوشكين لم يسمع ما قاله باكلين ، أو يكون قد سمعه ولم

يفهمه ، فظن كلامه نوعاً من النكتة ، لأنه علق على ذلك بقوله في مباهاة :

— نعم يا عزيزى ! ألفدروبل كاملة ! ان جولوشكين رجل ينى بوعده دائماً !

ثم ضرب يده في جيبه وأخرج رزمة من الأوراق المالية وصاح :

— ها هي عندنا فيرها ! افضلوا بها ماتشاؤون ! مزقوها إن شئتم ! ولكن

لا تنسوا أن تذكروا وأنتم تمزقونها صديقكم جولوشكين !

ومد نجدايوف يده فتناول رزمة النقود التي ألقاها جولوشكين على مفرش

المائدة اللطخ بالخمر الأحمر

ولما كان الحديث قد انتهى ، وكذلك الطعام ، ولم يعد هناك ما يقال استأذنوا

في الانصراف ثم تناولوا قبعاتهم وخرجوا
وشعروا جميعاً بالدوار ، ولا سيما باكلين ، عند ما صاروا في الهواء الطلق ،
فسألهم باكلين وهو يترخ :
— الى أين أنتم ذاهبون الآن ؟

فقال سولومين :

— أما أنا فذهاب الى بيتي

— أعود الى المصنع الآن ؟

— أجل ، سأعود الآن على قدمي برغم ظلام الليل .. الشئ بالليل جميل
والمسافة كلها لا تزيد على أربعة أميال تحتملها ساقاي بسهولة . طاب ليكم
ثم زرع سولومين معطفه وفارقهم . فسأل باكلين نجديانوف فأجاب :

— اني عائد مع ماركيلوف . سنركب عربته الى داره

— إذن مع السلامة . وأرجو أن تغفرا لي ما بدر مني وأنا سكران

ثم نظر الى ماركيلوف وحياء تحية عسكرية في سخرية ، ودار على عقبيه
وراح يهرج مترنحاً نحو بيت أقربائه . واتجه نجديانوف وماركيلوف الى الحان
التي تركا فيها عربة ماركيلوف وجواديه ، فأمرأ باعدادها وجلسا يستريحان
وبعد نصف ساعة كانت العربة تخترق بهما الطريق الى ضيعة ماركيلوف



حديث الحب

كانت السماء ملبدة بغيوم منخفضة . ومع أن النهار كانت فيه بقية تسمح برؤية الطريق إلا أن هذه اليوم جعلت الرؤية متعذرة ، وأضفت جواً من الكآبة . وكانت الرياح تهب في عنف محملة برائحة القمع والمطر . حتى لقد خشي نجدانوف أن يضلا الطريق وأعرب عن ذلك لماركيكوف ، فأجابه قائلاً :

— لا أظن . لأنه لا تقع للمرء مصيبتان في يوم واحد !

— ولكن ماذا كانت المصيبة الأولى إذن ؟

— اتنا أضنا يوماً في لا شيء . أليس لهذا أهميته وخطره ؟

— طبعاً وما كان ينبغي لنا أن نسرف هكذا في احتساء الخمر عند

جولوشكين الأبلة

— لم أكن أفكر في جولوشكين فقد حصلنا منه على بعض المال على كل حال . ولهذا لا أعتبر زيارتنا له هي للمصيبة التي أشرت إليها

— ما الذي تعنيه إذن ؟..

فلم يجبه ماركيكوف ، بل انزوى في ركن العربة . ولم يستطع نجدانوف أن يتبين وجهه . بيد أنه كان يشعر منذ الصباح أن هناك شيئاً غير عادي يقلقه . ورجاءة قال ماركيكوف بنضب :

— انك يا ألكساي ديمتريتش لا تؤمن بقضيتنا

— أخشى أنني لا أفهمك

فضحك ماركيكوف ضحكة مغتصبة وقال :

— اذن أنت لا تفهمي . ها ها ها ! إنني أعرف كل شيء يا سيدي العزيز !

أعرف مثلاً من التي كنت تطارحها الهوى بالأمس ؟ من التي استوليت على قلبها بحال منظره ومعسول ألفاظك ! أعرف من هي التي تدعك تتسلل الى مخدعها في جوف الليل ، بعد الساعة العاشرة مساءً بالتحديد

وفي هذه اللحظة أنفذ الحوذى الموقف إذ صاح فجأة وهو يلتفت ا
ماركيلوف :

— امسك اللجم يا سيدى من فضلك . فسأزل لأرى ماذا حدث .
يظهر أننا ضلنا الطريق . وأرى هنا أخدوداً نتحدر فيه
وكانت العربية فى الواقع تكاد تنقلب على أحد جانبيها . فتناول ماركيلوف
اللجم ، لكن الموقف لم يشغله عن الاندفاع فى حماسة وهو يسب ويلعن :
— لا ألوئك يا ألكساي ديمتريتش فكل ما هناك أنك استغدت م
الظرف لمصلحتك الشخصية وهكذا أصبحت مشغول القلب بقضيتنا فحسب !
— بدأت أفهم الآن علة قلقك واستيائك ... لقد كنت تتجسس علينا
وأنا أعرف من كانت جاسوستك التى لم تضع وقتاً فى إرسال تقريرها إلينا
وفي هذه اللحظة برز الحوذى من الظلام وهو يصيح :

— وجدت الطريق . قد درت شمالاً بوجه الخطأ . ولكن لا بأس
وسنكون فى البيت بسرعة . اللجام من فضلك يا سيدى
ثم قفز إلى مقعده وخرج بالعربية من المأزق بأمان . فقال نجدانوف :
— بعد هذه الاهانات التى وجهتها إلى ، تستطيع أن تقدر طبعاً أنك
أرفض أن أقضى الليلة عندك . ولهذا أرجو منك - برغم ما فى توجهى بالرجاء
إليك من مضاضة - أن تفضل فتعيرنى عربتك بمجرد الوصول إلى البيت كي
تنقلنى إلى البلدة . وهناك سأبيت فى خان ، وسوف أجد فى الصباح وسيلة
للوصول وحدى . وبعد ذلك سأصل بك طبعاً ، وبطريقة لا أشك أنك
توقعها

ولم يحب ماركيلوف على الفور . ثم صاح فجأة بلهجة اليائس :
— يا نجدانوف ! بحق السماء تعال معى إلى البيت ، ولو لتتيح لى الفرصة
كى أركع تحت قدميك طالباً الغفران .. نجدانوف ! اغفر لى زلتى وامسح من
داكرتك كلماتى الرجاء .. ليت أحداً يدرك مقدار التعاسة التى أحس بها ... !
ثم ضرب ماركيلوف صدره يده ، وتأوه وهو يستطرد :

— يا نجدانوف ! كن كريماً ! وأعطني يدك ! قل إنك تغفر لى !
فمد نجدانوف يده على مضض ، وشد ماركيلوف عليها بحماسة وغضب حتى
كاد يصرخ . وفى هذه اللحظة وقفت العربية أمام باب الدار

وبعد ربع ساعة ، قال ماركيلوف لنجدانوف وهما في حجرة المكتب :
— اصغ إلىّ يا نجدانوف ! لقد قلت لك يوماً إنني نزلت باختياري عن كل متاع الحب وسعاده كي أستفرغ جهدي كله لخدمة القضية . ولكن هذا لم يكن صحيحاً يا نجدانوف ! لم يكن عندي ما أخشى به في ذلك الباب . لأن الحب لم يعرض علي يوماً سعاده بل كان يضمن بها ! لقد ولدت سوء الطالع وسأستمر كذلك سائر أيام حياتي . ولما لم أجد فائدة لنفسى ترجى في طلب السعاده حولت جهودي الى شيء آخر . فاذا استطعت يا عزيزي نجدانوف أن تجمع بين الحسينين فتحب وتكون محبوباً ، وتخدم القضية في الوقت نفسه ، فأنت انسان محدود . ولم يكن اتهامي لك بخيانة القضية إذ فكرت في الحب إلا من قبيل القبط والحسد . هذه هي الحقيقة ، فاغفر لي !

وكان ماركيلوف يقول كل هذا الكلام يهدوء تام ، وهو جالس على مقعد منخفض وقد تدلى ذراعه على جانبيه ووقف نجدانوف أمامه تائها في جو كالحلم ، ويحاول عبثاً أن يشعر بالسعاده التي يصفها له ماركيلوف الذي استطرد قائلاً :
— لقد خدعت مرة في صدر شبابي . كانت فتاة ممتازة مرموقة ، ولكنها نبذتني . ومن أجل من ؟ من أجل ألمانى ! من أجل صابط ! وماريانا ... ثم توقف . فهذه هي المرة الأولى التي نطق فيها باسمها ، فأحس كأنه يحرق شفثيه فتروى قليلاً ثم قال :

— أما ماريانا فلم تخدعني . لقد أخبرتنى بوضوح انها لا تهتم بي . انها لم تجد في شيئاً يمكن أن يثير اهتمامها . ولهذا وهبتك نفسها . وهى طبعاً تملك كل الحق والحرية في ذلك
فهتف نجدانوف قائلاً :

— تعمل لحظة .. ماذا تقول ؟ ما الذي تعنيه أو تلمح اليه بقولك وهبتك نفسها ؟ أنا لا أدري بالضبط ماذا أنبأتك به شقيقتك . ولكني أؤكد لك ...
— لم أكن أعنى وهبتك نفسها جسدياً بل روحياً ومعنوياً ...

وبدا عليه انه استاء جداً من استفسار نجدانوف ، بيد انه أردف :
— وما كانت لتستطيع خيراً مما فعلت . أما عن أختي فهي طبعاً لا ترمي الى إيلاى . وبفرض ان المسألة لاهتمها ، فهي ولاشك تكرهك وتكره ماريانا كذلك ولكن ثق انها لم تبغنى كلمة واحدة بسوء قصد أو خلاف الواقع .

ولندع أختي الآن جانباً ، فكفانا حديثاً عنها
وجعل نجدانوف ينظر الى ماركيلوف بدهشة . فأشاح الآخر بوجهه ،
وجعل ينظر الى ركن الحجرة وهو بعض شفتيه وشاربه حتى يظنه الناظر مضغه .
ثم بعد قليل ضرب ركبته يده وصاح :
— أجل . لقد عزمت . ولن أرجع عن عزمي !

ثم نهض وجر ساقيه جرّاً الى حجرة نومه . ومن هناك عاد يرسم يمثل
ماريانا في اطار مذهب ، وقال لنجدانوف بصوت حزين ولكنه ثابت :
— خذ هذه الصورة . لقد رسمتها لما بيدي منذ مدة . ومع اني لأحسن
الرسم جداً ، إلا انها تشبهها فيما أظن . غفها يا ألكساي . فهي هدية مني
إليك ، ومع هذه الصورة أمنتك كل ما كان لي من حقوق . والواقع انه لم
تكن لي حقوق أبداً ... ولكنك تدرك ما أعنيه ! اني أعطيك كل شيء
وكف ماركيلوف ن الكلام وأخذ صدره يلو ويهبط بشكل ملحوظ
ثم قال :

— خذها . أما ترل غاضباً مني ؟ إذن خذها . فلا تقع لها عندي الآن
فأخذ نجدانوف الصورة . وهو يشعر بشيء غريب يهصر قلبه . وخيل
إليه ان لا حق له في اقتناء هذه الهدية . وقال لنفسه مؤنباً :

— ماذا ؟ ان الذي في يدي الآن هو حياة رجل بأسرها !
قد أدرك في هذه اللحظة مدى التضحيات التي يقدم عليها ماركيلوف .
ولكن هل يليق أن يرد إليه الصورة ؟ كلا ! انها تكون اهانة بالغة
وحول نجدانوف نظره عن ماركيلوف الذي عاد الى مضغ شاربه . وفي
هذه اللحظة دخل خادم يحمل شمة ، فأجمل ماركيلوف وقال :

— آن أن ناوي الى فراشنا يا ألكساي . وفي الصباح تحملك العربية
وأوى نجدانوف الى حجرته وهو يشعر بتسلية وحزن . وكانت رأسه
تكاد تتحطم من تأثير الشراب . وجعلت الصورة تحرقه حتى فكر أكثر من
مرة أن يطرق باب ماركيلوف ويردها إليه . وفي الصباح ودعه ماركيلوف عند
الباب حين ركب العربية ولكن في ثور شديد . ومع ذلك خيل الى نجدانوف
انه كان يريد أن يقول له شيئاً هاماً ، حين انطلقت الجياد

لم تغير فالتينا مهايولونا زوجها بالاكتشاف الذى وقعت عليه . واكتفت بتوجيه بضع كلمات الى ماريانا نفسها فى حضور خالها ، وشغفت الكلمات بابتسامة ذات معنى . كما انها نعمت على انها كتبت الى شقيقتها . يد انها على العموم كانت راضية عما أحدثته ارسال الخطاب من راحة نفسية لديها فى حينه ولمح نجدانوف ماريانا ساعة التداء فى قاعة للمائدة لهة خاطفة . غيل اليه انها ازدادت هزالا وعجوبا . يد ان النظرة الفاحشة التى رسمته بها بمجرد دخوله القاعة نذت الى قلبه

وأما فالتينا مهايولونا فكانت تنظر اليه طول الوقت ، وكأنها تريد أن تهته . وفى الوقت نفسه كانت تدرس وجهه لتعرف هل أطلعه ماركيلوف على خطابها أم لا . وأخيراً استقر رأيها على انه أطلعه على ذلك الخطاب أو فاتحه فى شأنه

ولما علم سيباجين ان نجدانوف زار الصنع الذى يتولى ادارته سولومين ، انطلق يسأله عن الصنع والمدير والادارة أسئلة شتى . ثم لم يلبث أن اقتنع من اجابات الشاب انه لم ير شيئاً هناك ، فعاد الى السكون وكأنه يلوم نفسه لأنه توقع أن يعرف شيئاً عملياً من شخص مثل نجدانوف لا خبرة لديه !

وعند ما هممت ماريانا بخادرة الحجره ، استطاعت ان تقول لنجدانوف همساً :
— انتظرنى فى القاعة عند نهاية الحديقة . سأذهب الى هناك بأول فرصة وبطبيعة الحال بادر بالتسلل الى ذلك الموضع . ولم يمكث هناك سوى لحظات حتى رآها واقفة أمامه بوجه يفيض بالترحاب وبريق من الحنان يفيض من عينيها وابتسامة سرور تراقص على شفتيها . فقتبش باليد التى بسطتها اليه ، يد انه لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة . وهى أيضاً ظلت صامتة . فقد أسرع فى الحضور فلهت أنفاسها . ولكن كان وانما ان سرورها كان عظيماً لما المسته من فرحه بلقائها . وكانت هى التى بدأت الكلام ، قالت :

— والآن خبرنى ماذا قررتم

فاستولت عليه الدهشة لهذا السؤال وقال :

— ماذا قررنا ؟ وهل كان من الضروري أن تقرر شيئاً فى الوقت الحاضر ؟

— أنتم تدرى ماذا أعنى . خبرنى عن موضوعات حديثكم . ومن قابلتم .

وهل قابلتم سولومين ؟ قل لى كل شىء . فانى مسرورة جداً برؤياك ! كدت
أظن ان هذين اليومين لن يفتيا . وقد ثبت لى تقريباً ان فالتيتنا ميهيلوفنا
هى التى كانت تسترق السمع وراء الباب فعلا

— هذا صحيح . فقد كتبت الى ماركيلوف عن ذلك
فسمعت ماريانا لحظة ثم احمر وجهها ، لا خجلا بل استنكاراً وقالت :
— انها امرأة شريرة . ولكن لنضع هذا الآن وهات أخبارك
وراح نجدانوف يتحدث وماريانا تصنى له وهى كالصم . بيد انها كانت
تستوقفه لتستوضحه ما يستطلق على فهمها . واهتمت على الخصوص بمعرفة آراء
سولومين . وأدهشها قليلاً أن تسمعه يلح فى الثناء على ماركيلوف واخلاصه .
فوضعت يدها على كتفه برفق . فتناول تلك اليد وقبلها لأول مرة . فضحكت
ضحكة يسيرة ثم شردت قليلاً وسألته :

— وهل أظلمك ماركيلوف على خطاب فالتيتنا ميهيلوفنا ؟

— أجل ...

— وماذا كان وقعه عنده ؟

— إنه أنبل رجل يحمله وجه الأرض !

وأوشك أن يروى لها كيف أهدى اليه صورتها التى رسمها يده . ولكنه
عقل لسانه فى اللحظة الأخيرة . فطدت ماريانا تسأل عن القراءات التى أخذت :
— لقد قلت لك يا عزيزتى اننا لم نقرر شيئاً حتى الآن . يجب أن ننتظر
مدة أخرى كما تعلمين الى أن تأتينا الأوامر

— بمن ؟ ...

— من فاسيلي نيقولايفتش . ثم يجب أن ننتظر أيضاً الى أن يعود
استرودوموف من مهمته التى ستستغرق وقتاً آخر

— ولكن صف لى فاسيلي نيقولايفتش هذا ...

— أنا شخصاً لم أره إلا بضع دقائق على دفعتين ، وهو قائد حركتنا الذى
يجب أن نطيعه . وهو قصير القامة متين البنية غليظ الوجه بارز عظام الوجنتين ،
ولكن له عينين برأتين تشعان ذكاء

— وطريقة كلامه ؟

— انه لا يتكلم يا عزيزتى . بل يأمر !

- ولماذا جلتموه قائدكم ؟
- لأنه رجل قوى الطبع لا يذعن لأى انسان . الجميع يخافونه ...
- وسولومين ؟
- انه ليس وسماً . ولكن وجهه يدل على الصفاء والصرامة كوجوه تلاميذ المدارس من أبناء الناس الطيبين
- فقطرت اليه ماريانا ملياً ثم قالت :
- وأنت أيضاً لك وجه يدل على الأمانة والصفاء وأظن عشترتك تطيب فتأثر بنجدانوف جداً ورفع كفها الى فيه وقبله مرة أخرى
- كفى . وإلآن أرجو أن تغفر لى شيئاً فعلته فى غيابك . لقد دخلت حجرتك ووجدت هناك كرامة فيها أشعار فوق للكتب . وأصارحك اننى لم أستطع مقاومة الاغراء فقرأت محتوياتها . فهل هى من نظمك ؟
- أجل . ولكن يكفى كى تعرفى مقدار تقبلى فبك اننى لم أكد أشعر بالغضب لأنك فعلت ذلك . لأننى أخفى هذه الأشعار عن كل انسان . ولكن خبرينى ماذا نفع ، فما أظن ان خالك وزوجته سيقبلى هنا طويلا
- نهرب معاً . ونكسح فى سبيل اللقمة بأيدينا إن لزم الأمر
- أنا لا أستحقك يا ماريانا !
- فارتعدت جميع أوصالها وقالت :
- كفى هراء ! لقد ارتبط مصيرنا . والآن يجب أن أعود وإلا شبرعت فالتينا ميهايلوفنا تبعث عنا . وإن كنت شخصياً أعتقد انها تقضت يديها منى يائسة من اصلاح حالى . فأنا فى نظرها النجعة السوداء التى يبتلى بها الله القطيع الأيضى ...
- يربك لا تقولى شيئاً من ذلك !
- الحقيقة انها تثار منى . والعامل الأساسى فى غضبها انها لم تستطع أن تستدرجك لترى عند قدمها كالأخرين . ولكن هذا كله لا قيمة له . ان أهم ما فى الموضوع اننى لم أعد أستطيع البقاء فى هذا البيت . بل يجب أن أفر
- تفيرين ؟
- نعم . لأنك أنت كما تدرك تماماً لن تمكث هنا طويلا . ولا بد منذ الآن أن أرتب خطة هربى وأفكر فى الحرفة التى أحترفها كى نشق طريقنا جنباً

الى جنب . انك ستأتى معى . أليس كذلك ؟

— الى أقصى الأرض يا عزيزتى ...!

والواقع انه فى هذه اللحظة كان حرياً أن ينهب معها فلاحاً حيث شاءت من غير أن يلتفت وراءه مرة واحدة

فأدركت ماريانا حقيقة شعوره ، فتهدت بارتياح وامتنان ، وقالت له :

— إذن خذ يدى يا عزيزى ولكن لا تقبلها . اضغط عليها فقط شأن الزميل

أو الصديق ، بحرارة ... هكذا ..!

ومشيا الى القصر جنباً الى جنب صامتين يفكران فى سعادتهما . وكان العشب يداعب أقدامهما ، والبراعم الصغيرة تهتز من حولهما . ولها ينظران بسرور الى الأزواء والظلال وهبات النسيم ، وكان كل ماحولها مهرجاناً أقامته الدنيا للاحتفال بحبهما الوليد



سولومين .. والحبيبان

بعد خمسة أيام من عودة سولومين إلى مصنعه ، دخلت الفناء عربية صغيرة أنيقة تجرها أربعة جياد مطهمة ، ويراقتها ياور في كسوة رسمية خضراء ، نزل منها وأدخله « بافل » تابع سولومين إلى الجناح الخاص ، حيث سلم إليه مطروفاً محتوماً من لدن « سعادة بورس اندرايفتش سيياجين »

وفي هذه الرسالة التي يفوح منها عطر انجليزي خفيف غالى الثمن ، والكتوبة بخط السيد نفسه لا بخط السكرتير ، يبدى سيياجين اعتذاره للتوجه بالخطاب الى سيد لا يعرفه شخصياً ، ولكن عنده في ذلك أنه طامح سمع به وسمع عنه الكثير من الثناء . وهو لهذا يتوجه الى السيد سولومين برجاء التفضل بزيارته ، لأنه يريد أن يستفيد من مشورته وآرائه الفنية الناضجة في موضوع من موضوعات الصناعة ينوى أن يشرع في تأسيسه

وعلى أمل قبول السيد سولومين هذه الدعوة ، أرسل اليه عربته الخاصة لتنتقله الى الدار . وإن لم يتمكن من ذلك في اليوم نفسه فليس عليه سوى أن يجين الوقت الذي يوافقه ، فتأتى العربية تقسها لتقله

وفي ختام ذلك الخطاب دعوة للتكرم بتناول الطعام عائلياً ، وبغير اللابس الرسمية ...

ومع هذه الرسالة سلم الحاجب الى سولومين رسالة أخرى من مجدانونوف ، كانت في الواقع مذكرة صغيرة ليس فيها إلا هذه الكلمات :

— أرجو منك أن تأتى ، فالحاجة اليك ماسة وقد تضوذا ضع كبير ، ولا أعنى ذلك طبعاً بالنسبة للسيد سيياجين ...

فلما فرغ سولومين من تلاوة خطاب سيياجين قال لنفسه :

— ما كنت لألبي هذه الدعوة لو اشترط لها للابس الرسمية ، فلست

أملك شيئاً من هذا القيل ... ثم لماذا أذهب إلى هناك إطلاقاً ؟ تضيع وقت !

ولكنه ما إن قرأ رسالة نيجدانوف حتى غير رأيه وقال للحاجب :

— سأتى معك بعد أن أبذل ثباتى مباشرة ...

ثم نادى تاجه بأفل فأمر إليه شيئاً ، وممر فى أرجاء المصنع ، واستبدل بثياب العمل معطفاً أسود نظيفاً ، واستقل العربّة الأنيقة



وفى الوقت الذى كان فيه سولومين فى طريقه الى ضيعة سيياجين ، كان سيياجين جالساً فى قاعة الاستقبال يقرأ كتيباً سياسياً ويتناقش فى مضمونه مع زوجته . ثم صرح لزوجته أنه أرسل يستدعى سولومين على نية إقناعه بترك العمل فى مصنع القطن وتولى إدارة مصنعه الذى أسس فى حالة سيئة جداً ، ويحتاج إلى إعادة التنظيم

ولم يخطر لسيياجين ظلم من الشك فى أن سولومين ربما لم يوافق على هذه الخطوة ، مهما كان الاغراء للذى . واعترضت زوجته قائلة :

— ولكن مصنعنا مصنع ورق وليس مصنع قطن

— لا أهمية لذلك . فالمصنّان يدوران بالآلات ، وهو ميكانيكى

— ولكن لنفرض أنه - سأتى فى نوع معين ...

— أولاً ليس هناك اختصاصون فى روسيا . وثانياً هو ميكانيكى !

فايتمت فالتينا ميهالوفنا وقالت :

— كن على حذر يا عزيزى . فقد فشلت وجانبك التوفيق مع الشباب

مرة من قبل ... فلا تتورط فى غلطة أخرى ...

— أأشيرين الى نيجدانوف ؟ لا أعتقد أننى أخطأت التقدير بالنسبة اليه .

قد كان معلماً جيداً ناجحاً لكوليا ...

فايتمت ونظرت اليه نظرة ذات مغزى وقالت :

— افتح عينيك يا عزيزى !

— هل تمنين أنه وماريانا ... ؟

— قلت لك افتح عينيك !

هتطب جيئه وقال :

— سنتحدث في هذا الموضوع فيما بعد وإنما الهم عندي الآن هو أن هذا المهندس سولومين ربما شعر بالنفور للفرقة هنا ، فهو كما تلمين لم يتعود حياة المجتمعات ف عليك أنت أن تلخيه من هذا الشئور بحيث يأنس الينا ، بلباقتك المهودة

— لا تعلق من هذه الناحية . وسأبدل كل جهدي



ولكن اتضح أن كل هذا لم تكن هناك حاجة اليه . لان سولومين لم يظهر عليه أى أثر للضيقة أو الفربة ، بل كان على سجيته جداً وما ان أعلن قدومه حتى هب سياجين واقفاً وأمر أن يدخل فوراً ، وأسرع هو نفسه إلى الباب حتى كاد يصطدم به ثم صاحفه بحرارة وهو يقول له بأعذب لهجاته :

— كم هو جميل منك أن تفضل بالحضور ...

ثم قاده ليقدمه إلى فالتينا مهيا يوفنا قاتلا :

— اسمحلى يا عزيزتى أن أقدم اليك أروع مهندس صناعى فى منطقتنا ...

« فاسيلى فيدوسايتش سولومين »

قهضت مدام سياجينا ، وقد شرعت فيه عينها الساحرتين ، وابتسمت له كأنما هو صديق قديم ، ومدت اليه يدها البضة فى دلال

وشرع سياجين بعد ذلك يعرض عليه المرطبات والسيجار ، فاعتذر بحزم مهذب ، وأكد أنه لا يريد شيئاً ، وأنه لا يشعر بتعب من الرحلة ، فباله سياجين بلهفة :

— إذن هل يمكن أن نزور المصنع ؟

— فوراً .. إن أمكن

— هل تركب أم تفضل المشى ؟

— هل هو بعيد جداً ؟

— بعد نصف ميل تقريباً

— إذن لا لزوم للركوب

فطلب سياجين قبعته وعصاه وانطلقا معاً فى طريق المصنع

كان معظم العمال يرفون سولومين شكلاً ، فأنحوا له حين بل انه كان يعرف أسماء نفر منهم ليأمن بمودة ...

وسرعان ما فطن سولومين الى الحقيقة القاطعة ، وهي أن المصنع يدار على طريقة سيئة جداً ، وكذلك الآلات من طراز عتيق جداً . فكان المال الذي يتفق عليه يقذف به الى الطريق فيذهب عبثاً

وظل سيباجين يحلق في وجه سولومين عسى أن يقرأ في صفحته ما يفكر فيه . فلما لم يفلح سأله على استحياء عن نظام المكان ، فقال :
— إن النظام لا غبار عليه . ولكن أشك كثيراً في إمكان الانتفاع من المصنع تجارياً بأي حال من الأحوال ...

فازعج سيباجين لهذا الحكم وقال مع ذلك :
— أرجو منك أن تصارحنى برأيك بدون مداراة وأن تذكر لي ما تراه السبب الجوهرى في نقص الانتاج وعيوب الأدوات ... حتى تتمكن من تلافيها على أساس سليم في المستقبل بناء على مشورتك
— لست مختصاً في مصانع الورق ، ولكنى أستطيع أن أقرر لك شيئاً ، هو عدم إيمانى بقدرة الأرستقراطيين على إدارة المصانع
وفي هذه اللحظة كان كولومترزف قد حضر ، فقال :
— وهل تعتبر الصناعة مزرية بالارستقراطية ؟
فابتسم سولومين ابتسامته العريضة الهادئة وقال :
— كلا طبعاً . وما هو المزرى في الصناعة ؟ وحتى لو كانت مزرية ، فلست أظن الأرستقراطيين يتخرجون كثيراً ...

— ماذا تعنى ؟ ..
— كل الذى أعنيه أن الأرستقراطيين لم يألفوا مثل هذا العمل لأنه يقتضى إلماماً بالتجارة وأصولها ، وعملياً فنياً عليها . والأرستقراطيون لا يفقهون ذلك ولا صبر لهم عليه . ولهذا نراهم يفشلون في المصانع التي يؤسسونها في كل مكان من أنحاء البلاد ، ويستقون فرصة سهلة للتجار إن عاجلاً أو آجلاً . وهذا مما يؤسف له جداً ، فالتجار مصاصو دماء من أسوأ درجة ... ولكن لا حيلة في ذلك على ما أرى ... فهذه طبيعة الموقف

— إن من يسمعك تقول هذا الكلام يقع في روعه أن السائل المالية تسمو على مدارك طبقتنا النيلية ...

— كلا ! بل هذه الطبقة أعلاها أساتذة في شئون المال ، فلا أحد يضارعهم في انشاء شركات سكة الحديد ، أو البنوك ، أو الحصول على اعفاء خاص من ضريبة عامة ... ولهذا يجوزون ثروات طائلة بسرعة . ولكن هذه الشروعات الصناعية لا المالية البحتة ، كانشاء مصانع للقطن أو الورق ، شيء آخر يحتاج الى دراية من نوع آخر ...

فسكت كولومترزيف ، لأنه كان من طبقة الرايين وأصحاب البنوك . ولكنه في الواقع كان يغلى من الغيظ ، ولا سيما للهجة سولومين المهادنة الواثقة المستخفة ، بيد أنه أثر عدم الاشتباك معه ، مراعاة لمصلحة سيباجين وبناء على توصيات مدام سيباجين

وتدخل سيباجين في الحديث قائلاً :

— عفوك يا فاسيلي فيدوتش . ان ماتقوله قد يكون صحيحاً فما سلف من العهود ، حينما كانت للنبلأ امتيازات ، وكان لهم وضع يختلف كلية عن وضعهم الحالي . أما الآن ، وبعد أن حدثت اصلاحات شتى وأصبحت في عصر صناعى حقاً ، فلماذا لا يتحول النبلأ الى الصناعة ؟ ولماذا يستعصى على فهمهم ما يقدر على فهمه أى تاجر سوقى غير متعلم ؟ ولا سيما ان النبلأ لدينا لا يمكن وصفهم بالجهل ، بل هم في الغالب متقفون ، ويمكن اعتبارهم ممثلى الطبقة المستنيرة

— السبب ياسيدى هو في عقليتهم ...

— من حيث ؟ ...

— من حيث انهم مطبوعون على البيروقراطية ...

وعندئذ لم يتالك كولومترزيف نفسه فصاح :

— لا شك انك لاتخى ما تقول ياسيد سولومين !

— من قال لك هذا ياسيد كولومترزيف ؟ انى أعنى دائماً ما أقول !

— إذن تفضل بالشرح والبيان !

— ان كل ادارى بيروقراطى يعتبر دخيلاً على العمل الفنى ، ولهذا اعتبر

النبلأ دخلاء على الصناعة والتجارة ...

قهقهه كولومترزيف ضاحكاً بصوت مرتفع وقال :

— ولكن يائسى العزيز لم أفهم مرادك ...
 — ربما فهمت ، لو حاولت الفهم بمجهود أكبر ...
 ووجد سياجين أن تدخله أخفى واجباً ، فتدخل بالفرنسيوهذا الموقف ،
 وعاد الثلاثة أدراجهم الى القصر ... وهناك خف كولومنزيف الى حجرة زينة
 مدام سياجين ، وما أن دخل من بابها حتى هتف بها :
 — لعمرى يا فلانينا ميا يلوفا لست أدري ماذا يريد زوجك أن يفعل ؟!
 لقد جلب لنا تقديماً آخر ، كأنه لم يكتف بالتقدمي الأول ... ولكن هذا
 الأخير أسوأ من الأول كثيراً ...
 — ولكن لماذا ؟ ..
 — انه ينادى بأفطع الآراء ! لقد أوشك أن ينعز زوجك بما يبشر به ..
 ولو سمعته وهو يخاطبه خطاب الند .. تصورى انه لم يقل له مرة واحدة
 « يا صاحب السعادة ! » ...



بذلك سياجين كل ما في وسعه لحل سولومين على قبول ادارة مصنعه نظير
 زيادة كبيرة في مرتبه ، بيد ان سولومين أصر على الرقض
 — أرجو يا عزيزي فاسيل فيدوتتش أن تقول على الأقل انك ستفكر في
 الموضوع الى الغد . ولا تقل لا منذ الآن
 — لن يقدم هذا ولن يؤخر . فسواء انتظرت الى غد أو بعد غد فلن
 أقبل عرضك . هذا هو رأي الأخير
 — فكر على كل حال الى الغد فلن يكلفك هذا شيئاً
 ولم يجد سولومين بداً من الواقعة . ثم خرج من مكتب سياجين وراح
 يدور بهينه باحثاً عن قبعة . وإذا بجذائوف الذي لم تسح له الفرصة قبل هذه
 اللحظة بالكلام معه يتقدم نحوه ويهمس على عجل :
 — بحق السماء لا تذهب الآن . وإلا لن يتيسر لنا أن نتحدث !
 فترك سولومين البحث عن قبعة . وانهز سياجين الفرصة فقال وهو
 يطل من باب مكتبه :
 — ألا تقضى الليلة معنا ؟
 — كما تشاء ...

وكانت نظرة الامتحان التي رمقته بها ماريانا وهي واقفة عند نافذة حجرة الاستقبال مدعاة لاثارة نواح شتى من التفكير لديه

وحق هذه الزيارة كانت ماريانا تتخيل سولومين في صورة مختلفة جداً عن صورته الواقعية . ولما ألقت عليه أول نظرة خيل اليها انه شخص رخو الطباع . ولكنها حين أمنت فيه النظر ، وأصفت للمزيد من حديثه ، ازدادت ثقها به . فالثقة هي الشعور الذي أوحاه اليها . فهذا الرجل الهادئ الثقيل الحركات كان يوحي للانسان أن يعتمد عليه كأنه جدار من الصخر . فهو شخص لا يعرف كيف يكذب أو يحاور أو يخدع أو يخون . ولديه قدرة عظيمة على الفهم واستمداد كبير للمعاونة . وخيل لماريانا انه لا يعبث هذا الشعور في نفسها وحدها ، بل في نفس كل شخص من الحاضرين

ولم يكن هذا الشعور راجعاً الى الموضوعات التي يتحدث فيها . إذ لم يكن عنها في كثير أو قليل موضوع المصانع والتجار . وإنما مرجع ذلك الى طريقة كلامه . وطريقة نظره فيمن حوله ، وأسلوب ابتسامته . فقد أعجبها ذلك كله كثيراً

أجل ان وجه نيجدانوف أجمل من وجهه وأنظر وأندى على العين . بيد انه يوحي بالاضطراب والقلق ونفاد الصبر وضيق الصدر وقلة الحيلة وثبوت العزيمة . فالناظر الى نيجدانوف يخيل اليه انه جالس على فم متقد . وقد قضى فترة العشاء يحاول أن يتكلم فيفشل ويدارى اضطرابه بضحك عصبى

أما سولومين فكان يبدو عليه شيء من الملل . ولكنه لا يشعر بضيق أو حرج . فهو مستقل تمام الاستقلال عما يدور حوله . وهذا هو السبب في ان ماريانا عولت على أن تستشير في أمر حياتها ثقة منها في أصالة رأيه ونفاذ بصيرته . فأوعزت الى نيجدانوف أن يستقيه

ومرت السهرة جد العشاء في أحاديث عن الصناعة . وكانت فالتيناميا يلوفا تبذل كل ما في طاقتها لاستمالته . بيد ان فشلها الظاهر فتق عزيمتها . ورفض سولومين أن يلعب الورق ، فاختصرت السهرة وانصرف سولومين الى الحجرة التي خصصت له وهي أحسن حجرة للنوم في الطابق الثاني ، إذ يلحق بها حمام خاص على الطراز الانجليزي . وبعد قليل توجه الى حجرة نيجدانوف الذي استقبله بالشكر الحار لأنه قبل رجاءه وبقى . فقال سولومين :

— لم تكن في الأمر تضحية كبيرة . ثم انه لم يكن في استطاعتي أن أخيب رجاءك بالذات

— ولم لا ؟

— لأنني أميل إليك كثيراً

ودعش نجدانوف وسر سروراً عظيماً في الوقت نفسه . وشد على يد سولومين بجمرة . ثم جلس سولومين فوق مقعد جلوساً عكسياً واتكأ بمرقبته على ظهر الكرسي . وأشعل سيجاراً ثم قال :

— والآن خبرني ماهو الموضوع ؟

— الموضوع وما فيه أنني أريد الفرار من هنا

— هل أفهم من هذا أنك تريد أن تغادر هذا البيت ؟ ان كان الأمر

كذلك فلست أرى ما يمنعك عنه

— لا أريد مغادرته ، بل الهرب منه .

— ولماذا ؟ أريدون استبقاءك ؟ ان كنت قد أخذت نفوداً مقدماً ،

فليس عليك إلا أن تعين البالغ ، وسيسرفني كثيراً ...

— انك لم تفهمني يا عزيزي سولومين . قلت أريد أن أهرب لا أن أرحل ،

لأنني في الواقع لن أذهب وحدي

— مع من إذن ستذهب ؟

— مع الفتاة التي رأيته هنا اليوم

— معها ؟! ان لها وجهاً مليحاً . هل أتما متحابان ؟ أم أتما قررتما المضي

من هنا معاً لا شيء إلا لأنكما تكرهان الإقامة هنا ؟

— بل نحن متحابان .

— آه ...

ثم سكث سولومين برهة ، سأله بعدها :

— هل هي تحت صلة القرابة لسيباجين ؟

— نعم . ولكنها تشاركني معتداتي مشاركة تامة . وهي متأهبة لكل شيء

فانقسم سولومين وسأله بهدوء :

— وأنت يا نجدانوف ، هل أنت متأهب ؟

فقط نجدانوف حاجيه قليلا وقال :

— ولماذا تسألنى هذا السؤال ؟ سترى بنفسك حين يحين الوقت
— لست أشك فىك يا نجدانوف ، وإنما سألتك لأنه يخيل الى انه فيما عداك
لا أرى أحداً على تمام الأهبة لليوم الفاصل
— وماركيلوف ؟ ...

— طبعاً ماركيلوف متأهب ! ولكن ماركيلوف ولد متأهباً
وفى هذه اللحظة طرق طارق الباب برفق ، ولكن بعجلة . ثم فتحه من
غير أن ينتظر رداً . وكان هذا الطارق ماريانا التى اتجهت الى سولومين مباشرة
وقالت بكل ثبات وهدهوء :

— أنا متأكدة انك غير مندهش لرؤياى هنا فى هذه الساعة من الليل .
فلا شك انهم قد أخبرك بكل شيء . فأرجو منك أن تعتبر انك ترى أمامك الآن
قناة مغلقة أمينة

قال سولومين بكل جد :

— إنى واثق من هذا كل الثقة !

وكان قد نهض من مقعده بمجرد دخولها . أما الآن فصاعداً بحرارة
واستطرد :

— لقد استرعى نظرى ونحن على المائدة ما فى عينيك من صراحة . وقد
أخبرنى نجدانوف بنوايا كما . ولكن هل لى أن أسألك لماذا تريدان الفرار ؟
— يا له من سؤال ! ان نجدانوف لم يكتم عنى شيئاً من أسرار كفاحكم .
وأنا أعلم ان العمل العظيم على وشك البداية . فهل أبقى فى هذا البيت حيث
كل شيء يقوم على الخديعة والنقض ؟ فى الوقت الذى يتعرض فيه من أحبه
لأفدح المخاطر ؟

— هدنى من روعك . واجلسى من فضلك . وأنت أيضاً يا نجدانوف
اجلس . وأعيرنى سمعك جيداً . إن كان هذا هو السبب الوحيد الذى من أجله
قررت الفرار ، فلا حاجة إذن لفرارك فى الوقت الحاضر . فالعمل العظيم سوف
لا يبدأ بالسرعة التى تصورينها . فيجب النظر الى المسألة بمزيد من الحذر
والثبات . فنستقبل الوطن لا ينبغي أن يفصل فيه برعونة

— ولكنى لم أعد أطيع البقاء هنا ! إن كل انسان هنا يهيننى
فابسم سولومين ، يد ان ماريانا أحست انه يضحك منها . ومع ذلك لم

تشمع في هذا بأى اهانة . ولا سما حين قال :

— ياسيدتى العزيزة ! ان العالم حافل بالحقى . ولا ينبغي أن نقيم لسلوكهم وزناً . فليس هذا إذن سيئاً وجباً . فهل لديك سواء ؟

وعندئذ قال نجدانوف بصوت أجوف :

— أنا مقتنع ان السيد سيباجين سيطر دنى من تلقاء نفسه غداً . فهو ياملنى الآن معاملة تنطوى على زراية شديدة

— إن كان الأمر كذلك فلماذا القرار ؟

فسكت نجدانوف لا يدرى ماذا يقول . فانبرت ماريانا وقالت :

— لأنى سأذهب معه . ومن أجل هذه المشكلة أردنا أن نتحدث اليك

— جلية الأمر ياسيدتى انه إذا كان العمل العظيم هو السبب الوحيد لرحيلك عن هذا البيت ، فلا حاجة للرحيل فى الوقت الحاضر . أما ان كان السبب هو رغبتكما فى توحيد حياتكما ولا سبيل الى ذلك وأنتما متحابان إلا بالقرار ، ففي هذه الحالة أبدأ أولاً بتنيتكما . ثم بعد ذلك أقول اننى مستعد لمعاونتكما بكل ما فى استطاعتي . وأحب أن أؤكد لك ياسيدتى العزيزة اننى شعرت بعيل نحوكما لأول وهلة . واننى أحبك حباً أخوياً

فتقدم الشابان وصافح كل منهما إحدى يديه بحرارة . وقالت ماريانا :

— أتوسل اليك أن تتولى إرشادنا ، وتوجيه جهودنا الوجهة التي ترى فيها النفع للقضية . ارسلنا حيث تشاء

— الى أين ؟ ...

— الى الشعب ! وأين يذهب الانسان ان لم يذهب الى الشعب ؟

فرمقها سولومين بنظرة فاحصة وقال :

— أتريدن أن تعرفي الشعب على حقيقته ؟

— ليس هذا فقط . بل نريد أيضاً أن نخدمه ونكنح فى سبيله

— ولكن متى تريدان القرار ؟

— غداً ان أمكن ...

— والى أين ؟ ..

— لا ندري ..

فنظر سولومين نحو نجدانوف ينتظر رأياً أيضاً ، فأطرق نجدانوف ولم يجب

— لكما أن تأتيا للاقامة عندي في المصنع . ان المكان ليس جميلا ولكنه
مأمون على كل حال وسأخفيكما هناك ، فعندي حجرة اضافية ، بحيث لا يستر
عليكما أحد . فكل ما عليكما أن تصلا الى هناك دون أن يتبعكما أحد . وهنا
اتنا لن نسلكما

— ولكن للمصنع مزدحم بالناس ؟ فكيف يصلح للاختفاء ؟
— ياسيدتي العزيزة هذه مزيتة . حيث يكثر الناس يسهل جداً على أي
أحد أن يخفى

ونهمض العاشقان فجلا يزجيان إليه الشكر والامتنان بكل حرارة . وبعد
أن هدا قليلا قالت ماريا نا :

— ولكنك لن تحبسنا هناك طويلا . أليس كذلك ؟ بل تطلقنا وترسلنا
الى مكان نكون فيه ناعمين

— هذا يتوقف على نوايا كما . فان كنتا راغبين في الزواج . ففي وسمى .
أن أفضل ذلك بواسطة جار هو في الواقع من ذوي قرايقي ، فهو من رجال
الكهنوت . ولن يقيم عقبات في سبيل إتمام مراسم القران

— لست أدرى كيف أشكرك . ولكن ألا تخشى أن يقيم صاحب المصنع
العراقيل أو يعترض على إقامتنا هناك ؟ فيسبب ذلك احراجاً لك ؟

— لا تطقا من جهتي ! فكل ما يريد رب المصنع هو أن تسير الأمور
على ما يرام ويحني رجحاً طيباً . فلا تفكرا في شيء سوى اعداد المدة واططاري
بالوقت الذي انتظركما فيه

فتبادل نجدانوف وماريانا النظرات

— جد غد في الصباح الباكر ، أو في اليوم الذي يليه . فليس في استطاعتنا
أن نتوانى أكثر من ذلك

— اذن سأعد نفسي لاستقبالكما في صباح كل يوم منذ الغد . وسوف
لا أظدر مقرى بقية الأسبوع وستتخذ جميع الاحتياطات

وبعد ذلك انقض الاجتماع . وكانت ماريانا هي البادئة بالانصراف . فلما
أصبح سولومين ونجدانوف وحدهما ، أطرق سولومين برهة ثم قال ::

— حدثني عن هذه الفتاة . قل لي كل ما تعرفه عنها . وماذا كانت حياتها
حتى الآن ؟ من هي ؟ ولماذا هي هنا الآن ؟

فأخبره نجدانوف بكل ما يعرفه عنها بإيجاز . وعند ذلك قال سولومين :
— يجب أن تحيطها بكل عنايتك يا نجدانوف . لا ينبغي أن يمسه سوء
طاب مساؤك

وما أن أمسى نجدانوف وجداً حتى وقف وسط الحجرة جامداً كالتمثال ،
ثم ألقي بنفسه فوق السرير وخبأ وجهه في الوسادة وهو يضمهم :
— من الخير أن أكف عن التفكير !

أما ماريانا فلأنها حين دخلت حجرتها وجدت مذكرة فوق الفراش نصها :
— أنا خزينة من أجلك ، فانك تقضين على نفسك . فكرى فيما تفعلين . في
أى هاوية تلقين بنفسك وأنت مغمضة العينين ؟ - ف
وثبتت في الحجرة رائحة عطر لم تترك لديها شكاً في أن فالتينا ميهيلوفنا
كانت هناك . فتناولت الورقة وكتبت عليها :

— لاتحزنى من أجلى . فاقه أعلم من منا نحن الاثنتين أحق بالراء . كل
ما أعرفه أننى لا أرضى أن أكون فى مكانك ولو كان لى ملك العالمين - م .
ثم وضعت الورقة على المائدة وهى لاتشك فى أنها ستقع فى يدى فالتينا ميهيلوفنا
وفى الصباح التالى كرر سولومين لسيباجين رفضه ما عرضه عليه ثم عاد
الى مصنعه . وكان ما يشغل ذهنه طول الطريق هو نجدانوف . ولم يخالب
خاطراً ألح عليه ، إنه لو كان عاشقاً مثل نجدانوف لتغيرت سماء . ولكن شيئاً
آخر غير ما يبدو عليه نجدانوف الآن . ثم هز كتفيه قائلاً لنفسه :

— الحب !؟ هذا شيء لم يحدث لى أبداً . فليس لى اذن أن أقطع برأى
فى حالتي لو كنت عاشقاً

وتذكر فتاة إيرلندية كانت بائعة فى دكان مدة اقامته بأجلترا . . وتذكر
كيف كانت تنظر إليه حينها الزرقاوين وأهدابها الطويلة وهو يرمأمام دكانها
جملة مرات فى النهار . لكن شجاعته خاتته فلم يقدم على التعرف إليها على الرغم
من ابتساماتها للشجعة . ولا يدرى ما جعله يقول لنفسه :

— لقد كانت تلك الفتاة - واسمها بولى - أجل من ماريانا بكثير .
ولكن ماريانا فيها هذا الحزن القريب إلى القلب ، وذلك الطابع الروسى
الخاص ولكن ما شأنى أنا وعرائس الناس ؟

وفى هذه اللحظة وقفت به العربية أمام المصنع

الحب والحرية

استاء سيياجين جداً لأن سولومين أصر على رفض عرضه . وترتب على ذلك الاستياء انه بدأ يقلل من أهمية سولومين التي كان يطلب في امتداحها . وأدعى من ذلك ان سخطه زاد على الشاب الآخر نجدانوف . وبدأ في هذا اليوم بأن قال لابنه كوليا انه لا حاجة به لتلقى دروس في هذا اليوم . بيد انه لم يطرد للعلم بصراحة بل استمر على خطة تجاهله . أما فالتينا مهايولونا فلم تتجاهل ماريانا ، بل حدث بينهما مشاحة فظيعة

قبل الغداء بساعتين وجدنا نفسيهما وجهاً لوجه وحدهما في حجرة الجلوس . فشعرت كل منهما ان ساعة اللوطة الحاسمة قد دنت . وبعد لحظة تردد اقتربت كل منهما نحو الأخرى

أما فالتينا مهايولونا فكانت تبسم ابتسامة باهتة . في حين زمت ماريانا شفيتها بقوة . وكاتتا شاحبتين على السواء . وكانت مدام سيياجين هي البادئة بالوقوف ، ثم راحت تنقر بأناملها على ظهر مقعد ، وقالت بتهمل :
— يبدو أننا بدأنا حلقات من المراسلات فيما بيننا . وهذا يبدو لي غريباً ما دمنا نعيش تحت سقف واحد

— لم أكن أنا البادئة بهذه المراسلات يا فالتينا مهايولونا
— هذا حق . فأنا اللوثة لذلك . ولكن لم تخطر لي وسيلة أخرى لتنيه شعورك ... بلذا أقول ؟...

— لك أن تعبري عن رأيك بغير مواربة . فلن أشعر باهانة
— أردت أن أنبه شعورك ... بالحياء
— ومن أي جهة تظنيني خرقت قواعد الحياء ؟
فهزت فالتينا مهايولونا كتفها وقالت :
— انك يا عزيزتي لم تعودي طفلة . وأخالك تدركين تماماً ماذا أعنى . أم

هل تظنين سلوكك كان يمكن أن يظل خافياً على وعلى أنا زهاروفنا ، وعلى البيت بمن فيه أجمعين ؟ وبهذه المناسبة أقول انك لم تضكري في التخفي . بحيث لم يجهل خطواتك إلا بوريس وحده لأنه مشغول بأمر أهم من هذا — وضحى من فضلك ما الذى يسخطك من سلوكى ؟

— اننى لا يمكن ان أرضى عن هذه الاجتماعات الطويلة التى تقضيها على انفراد مع شاب أقام عنك نسباً وتريه ومكانة اجتماعية . ان هذا كان يمكن أن يهون . ولكن الذى أفزعنى حقاً هو تلك الزيارات الليلية لحجرة ذلك الشاب . وأين من فضلك ؟ تحت سقفى ؟ وربما لم ترى فى هذا شيئاً غريباً . أو لم تجدى لى به شأننا . ولكنى فى الواقع مسئولة عن كل ما يجرى فى البيت . ولست مستعدة أن أتستر عليك

فابتسمت مارينا لأول مرة وقالت بهدوء :

— حتى ان استنكرتك هذا غير ذى موضوع . فأننا لم أجلب العار على بيتك . وهذا الشاب الذى أشرت إليه ... أنا أحبه — أنت تحبين مستر نيجداتوف ؟

— نعم أحبه ...

فحملت فالتينا مهايوفنا فى وجهها وقالت :

— ولكنه يامارينا طالب لا نسب له ولا أسرة ، وهو أصغر منك سناً . وماذا ترين فيه ؟ انه فقير ؟

— لم يكن هذا رأيك فيه يوماً ما يا فالتينا مهايوفنا

— اننى أخشى على مستقبلك . ما الذى يمكن أن تستفيديه من هذا الزواج ؟

— الحقيقة يا فالتينا مهايوفنا اننى لم أفكر فى المسألة على هذا الضوء

— على ضوء ماذا ؟

— أعنى لم أفكر فى موضوع الزواج حتى الآن

— أنت مجنونة ولا شك

— لا لزوم للهارة يا فالتينا مهايوفنا ، ولا جدوى للمناقشة لأن كلامنا

لا يفهم لغة الأخرى

— بل لابد من الاستمرار فيها . ان الأمر خطير . وأنا مسئولة عنك أمام

العالم أجمع . ولا يمكن أن أسكت على هذا الهراء ، ثم لماذا لا أستطيع أن أفهمك

من فضلك ؟ ما أعجب كبرياء الجيل الجديد التي لاتطاق ! اني على العكس أفهمك تمام الفهم . وأراك مسممة الأفكار بالزعات الحديثة التي مستغنى عليك . ولن نستطيع اتقاذك

— ربما . ولكن تقى اننى لن أمد أصبى نحوك لتتقدين
— كبرياء أجوف ! لست أزعم اننى شعرت نحوك يوما شعور الأمومة .
ولكنى كنت على النوام أشعر أن على تيمات نحوك ، وحاولت دائما أن أنهض بها . وكنت مستعدة أنا وبوريس أن نضحي بثروة كبيرة في سبيل تزويجك من رجل اخترناه لك . وهو وإن لم يتفق معك في الآراء ، إلا انه ...

— ماذا تقولين يا فالنتينا مهايوفنا ؟ ما هذا الذي تذكرين ؟ أمر زواجي ؟ وهل تسمين صديقك هذا القط الغليظ القلب كولوميتزف عريسا ؟
— نعم يا مارينا فيكتيفنا ! انى أعنى ذلك الشاب الثقف الممتاز كولوميتزف ، فهو رجل يمكن أن يسعد أى زوجة ، ولا ترفضه إلا مجنونة !

— وما العمل في خيبي ؟ يبدو اننى مجنونة كل الجنون !
— ألدبك عليه اعتراض جدى ؟
— لا شيء مطلقا ، سوى اننى أحترقه .
— فلنتركه إذن ولنعد الى موضوعنا الأصلي . آهيجين حقا نجدانوف ؟
— أجل ...

— ولنفرض اننى حرمت عليك ذلك ؟
— لن أقيم وزنا لذلك
— ماذا تقولين يا فتاة ؟ لا تقيمين لى وزنا ؟! هذا كلام تقوله لى فتاة لم

تعهد منى سوى العطف والحنان ، ربيتها فى بيتى ...
— نعم . وابنة رجل موصوم ! قولها ولا تتحرجنى
— لم أقل شيئا كهذا . وعلى كل حال ليس هذا موضع غفر لأحد !
ولكنك على الأقل تسمين عالة على !

— على رسلك يا فالنتينا مهايوفنا ! فاني أوفر عليك مرتبا باهظا لو انك استقدمت مربية فرنسية لكويا . فلا تنسى اننى ألقنه دروس هذه اللغة كل يوم ! ثم انك تقولين أن جميع من فى الدار يعرفون حقيقة سلوكي . وانهم جميعا يستكرون . ولكن هل تظنين أنهم برأيهم مجتمعين أو فرادى ! أما



« فأسرعت ماريلانا بالخروج . وألقت فالتينا ذراعيها حول عنق زوجها ... »

خبزك بإسديني فهل تظنين طعمه كان حلو المذاق في فمي ؟ أنى أفضل ألفمرة
أشد الفاقة على هذا الترف . فهناك هوة تفصل بيني وبين بيتك . هوة لا سبيل
الى اجتيازها . انك امرأة ذكية . فيجب أن تدركي أنك مادمت تكرهينى ،
فلا يمكن أن يكون شعورى نحوك هو المودة والولاء . هذا بديهى لا يحتاج
الى بيان

فاشدت الحلق بآلتينا مهابيلوفنا ، وجلت تدق الأرض بقدمها الصغيرة
وتصرخ بالفرنسية في صوت مبسوح :

— اخرجى من بيتى ! اغربى عن وجهى

فأسرعت ماريانا بالخروج . وهمت فآلتينا مهابيلوفنا أن تصرخ وتندرف
السموع ، وإذا بزوجها يدخل الحجر فسلها بطلق :

— ما خطبك ؟ ماذا جرى يا عزيزتى ؟

— لا شيء !

ثم ألقت ذراعها حول عنقه بحركة رشيقة وأخفت وجهها في صدره
وصرحت له بكل شيء . واجتهدت أن تتظاهر بالنشاط عن ماريانا والتماس
الأعذار لها من شبابها وحدة مزاجها وقص تربيتها الأولى . ولم يقفها أن تلوم
نفسها لأنها كان ينبغي أن تبذل عناية أشد ورقابة أدق نحو هذه الفتاة
وأصغى سيباجين لها بعطف شديد . ولكن الصرامة كانت مرتسمة على
وجهه . فلما فرغت قبل جبينها وقال بحزم :

— اننى أعرف بالضبط ماذا ينبغي أن أفعل بصفى رأس هذا البيت

ثم خرج من الحجر بخطوة ثابتة شأن من اتوى القيام بواجب تعيل
ولكنه شاق ...



وفى الساعة الثامنة ، بعد العشاء ، كان نجدانوف جالساً فى حجرته يكتب
خطاباً الى صديقه الحميم سيلين :

« عزيزى فلاديمير

» أكتب اليك فى لحظة حرجة من حياتى . فقد فصلت من العمل فى هذا
البيت وسوف أرحل من هنا . وهذا فى خد ذاته ليس شيئاً ذا بال . وإنما المهم
اننى سوف لا أرحل وحدى . فالفتاة التى كتبت لك عنها ستذهب بفى . إذ

يجمع بيننا تشابه قدرنا في الحياة ، ووحدتنا الموحشة ، وآراؤنا ، وآمالنا ،
وجننا المشترك . نعم كل منا يحب الآخر . وأنا واثق اننى لا يمكن أن أشعر
ب عاطفة الحب إلا على هذا النحو الذى أشعر به الآن
« ولكنى لا أخفى عليك اننى أشعر برهيق وخوف غامض . لأن كل شيء
في مستقبلنا تكتشفه الظلمات . وكل ما نعرفه اننى وماريانا لا ننشد السعادة
والهدوء . بل ننشد الاشتراك معاً في كفاح مقدس . وهو كما ترى هدف واضح .
وماريانا فتاة أمينة طيبة . ومع هذا أشعر يا فلاديمير بالتماسة . فالكى يمزق
صدري لا من جهتها طبعاً ... ولكن لست أدري من أى جهة ! وقد فات
على كل حال أوان التراجع . ففكر فينا دائماً »



ولما فرغ من كتابة هذه السطور توجه الى القرية ، وهناك قضى الليل في
خان . وفي الليلة التالية ، قبل طلوع النهار ، كان واقفاً عند طرف الغابة الملحقة
بمديقة سيياجين . وعلى بعد يسير منه عربتريفية شد إليها حصانان من خيول
العمل في الحقل . وكان السائق فلاحاً عجوزاً نائماً على كومة من القش الجاف .
وظل نجدانوف يتطلع الى الطريق بقلق الى أن صبغت حمرة الفجر الأفق .
ولجأة تصلبت أوصاله ، وسمع وقع أقدام خافتة ، ثم تبين شبحاً فأسرع نحوه
وهو يهتف :

— ماريانا ؟

— أنا . أعطنى ذراعك

وكانت ترتجف وهو يقودها الى العربة ويوقظ الحوذى الشيخ ، ثم قفز
الى جوارها . وجمع للعطف حولها ، ولف قدمها في بطانية . ثم انطلقت
العربة بهما . وكان الئدى يسقط بغزارة والجو بارداً . فمرت الرعدة فى أوصال
ماريانا وقالت فى شيء من المرح :

— ما أشد البرد . ولكنها الحرية يا أليوشا ! الحرية !



اندفع سولومين الى خارج أبواب المصنع بمجرد أن قيل له أن سيداً وسيدة
وصلا فى عربة ويسألان عنه . ولم يوجه إليهما كلمة ترحيب ، بل اكتفى بهز
رأسه بضع مرات ، ثم أمر الحوذى بالدخول إلى الفناء والوقوف أمام الجناح

الصغير المخصص لسكناء . ثم ساعد ماريانا على النزول من العربة . وقفز نجدانوف في أثرها . وقادها سولومين معاً إلى بحر ضيق ثم إلى سلم صغير متعرج خلف البيت فصعد الثلاثة إلى الطابق الأعلى . وفتح باباً أفضى إلى حجرة صغيرة أنيقة لها نافذتان . وعندئذ فقط تكلم فقال

— هذه حجرتكما . وهناك حجرة أخرى من داخلها . هي لكما أيضاً . ولئن لم يكن منظرهما يشرح الصدر ، فزيتهما أنهما غير مكشوفتين لأحد ، ومستقلتان ، فهما محبباً أمين خال من الجواسيس . وتحت النافذة مباشرة حديقة يسميها مالك الصنع حديقة أزهار . وهي في الحقيقة حديقة خضروات . ومن الناحية الأخرى لا أثر للسكان يميناً أو شمالاً . وكيف حالك يا سيدتي ؟ وأنت يا نجدانوف ؟

ثم هز يديهما ووقف الاثنان يخلعان ما عليهما من معاطف وهما يحدقان أمامهما وقد أصبحا نهياً لعواطف من القموض والغامرة والريح . إلى أن قال سولومين :

— وأين حقائبك يا سيدتي ؟

فطوحت ماريانا يدها بربطة صغيرة وقالت :

— ليس معي إلا هذه . أما نجدانوف ...

— معي حقيقتان تركتهما في العربة . سأذهب كي ...

— لا تتبع نفسك سيأتي بهما بافل

ونادى بافل فكلفه بالمهمة ، ثم انتهى إلى ماريانا فقال لها :

— هل سار كل شيء على ما يرام ؟

— أجل لم يشعر بخروجنا أحد . وقد تركت رسالة لمدام سيباجين .

ولكنني يا فاسيلي فيدوتش لم أحضر معي شيئاً من ملابس . لأنها من النوع الذي لا يلائم حياة الكفاح الجديدة . ومعني على كل حال نقود أشتري بها ما يلزمي

— هذه مسألة تفكر فيها بعد الشاي . وعلى فكرة ، تقوم بالخدمة والمطبخ

هنا تيتيانا زوجة بافل . ويعتمد عليها كما يعتمد عليه ، أي كل الاعتماد يا سيدتي

— أرجو منك أن تتاديني ماريانا . كما أنني لست بحاجة إلى خدم . ولولا

هذا لما هربت من هناك . وأرجو منك ألا تنظر إلى ثوبي الفاخر . فلم أجد

ما هو أنسب منه وأبسط ، وسأغير طبعاً على هذا الطراز والمستوى في الزى
— ربما لم تكوني بحاجة إلى خادم . ولكنك ولا شك تحتاجين إلى
مساعدتين أو معاونين على الطريقة الأمريكية . وكنت أتمنى أن أقوم بذلك
دائماً . ولكني مضطر أن أكون دائماً في المصنع . فان احتجتنا لأي شئ اطلباء
من بافل أو زوجته تينا

فدأت ماريانا إليه كلتا يديها بسرعة وشكرته بتأثر . فربت على إحدى
يديها بلطف :

— المقروض أن أقول إنه لا يوجد ما يستوجب الشكر . ولكن هذا
يكون غير مطابق للواقع . فمن الخير أن أقول شكرًا كمصدر سرور عظيم لي .
وبهذا نكون « خالصين »

ثم انصرف إلى المصنع يتبعه بافل الأمين ، وانفرد نجدانوف وماريانا لأول
مرة . . .

واندفعت إليه ماريانا ثم أخذت تنظر إليه بمزيج من الإعجاب والفرح
والاشفاق ، ثم هتفت من أعماقها :

— آه أيها العزيز .. هانحن قد بدأنا حياة جديدة ... أخيراً ! أخيراً !
ولن نستطيع أن نتصور كيف تبدولى هذه الحجرة الصغيرة الحقيرة التي
سنمضي فيها بضعة أيام ، كيف تبدولى عذبة ساحرة بالقياس إلى تلك القصور
البغيضة ! أسرور أنت ؟

فتناول نجدانوف يديها كلتيهما وضغطهما فوق صدره ثم قال :
— اني سعيد يا ماريانا أن أبدأ هذه الحياة الجديدة معك . . . ستكونين
نجمة الهادي ، ومعواني ، وعمادي ، وعتادي . . .

— عزيزي أليوشا .. كفي شعراً ... يجب أولاً أن نتقسل ونرتب مظهرنا
قليلاً . سأذهب إلى حجرتي الداخلية . . . أما أنت ، فتبقى هنا . دقيقة واحدة
ودخلت ماريانا إلى الحجرة الأخرى وأغلقت الباب . وبعد دقيقة واحدة
فتحت الباب إلى النصف وأطلت برأسها منه لتقول :

— أليس سولومين لطيفاً ؟
ثم أغلقت الباب ثانية وسمع المفتاح يدور في القفل . فأتجه نجدانوف نحو
النافذة ووقف يطل على الحديقة ... فاستلقت نظره شجرة تفاح عتيقة جداً .

وبعد برهة تخطى ثم فتح حنية ثيابه الخارجية . بيد أنه لم يخرج منها شيئاً
وشرد في أفكاره

وبعد ربع ساعة عادت ماريانا بوجه مشرق لامع من أثر القليل ، وبعد
دقيقة واحدة دخلت تتيانا تحمل أدوات الشاي ومعهما الفطائر والقشدة . فاذا
بها تمثل الطراز الرينى الروسى بطولها وشعرها للنسدل الغزير الذى تخرس فيه
مشطاً من الطبخ . والطينة تشع من عينيها الرماديتين . وكانت نظيفة جداً على
الرغم من قعر ثيابها . وبعد أن انحنى بأدب وحيتها بصوت عذب نسقت
أدوات الشاي . وتقدمت منها ماريانا لتساعدتها فقالت لها تتيانا :

— لا تعي نفسك يا آنسة . وكلما احتجت إلى شيء اطلبيه من أخصه

بسرور

— أرجوك لا تتادبنى آنسة . فلئن كنت ألبس ثياب الثراء ، إلا أنتى ..

ونظرت إليها تتيانا نظرة فاحصة فلم تستطع إتمام جملتها . وسألها تتيانا ببشاشة :

— اذن ممن تكونين ؟

— انتى من السراة بحكم المولد فعلا . ولكنى أريد أن أتخلص من هذا

كله كي أغدو امرأة بسيطة مثلك

— آه فهمت ! إنك تريدن أن تتبسطنى كما هى « موضة » هذه الأيام .

أن تصبحى مثل العوام . وقد سمعت أنك تتطوعين لتعليم الشعب . أعانك الله
فهى مهمة شاقة

ونظرت نحو نيجدانوف ثم قالت باسمة فى رقة :

— هل هو زوجك ؟ أم هو أخوك ؟

— لا هذا ولا ذاك ...

فرصت تتيانا رأسها وقالت :

— أتما اذن تعيشان معاً هكذا ، طليقين من القيود ؟ انها العاشرة الحرة

التي شاعت أيضاً فى هذه الأيام . وقد كان هذا سائداً فيما مضى فى طبقة محدودة .

أما الآن فكثيرون من أبناء الشعب يفعلون ذلك . وعندنا فى المصنع أزواج

كثيرون لم يجمعهم الكاهن . ومع ذلك فهم ليسوا أسوأ من سواهم

— انك تجيدين التعبير يا تتيانا بلباقة . وأنا أريد منك أن تساعدني فى

شراء ثوب كثوبك هذا ، ولكنه أبسط . مثل ثوبك في كل شيء حتى
النديل والحذاء

— هذا أمر هين جداً يا آنسة ! لا تنصبي ! فلن أقول لك آنسة مرة
أخرى ! ولكن خبريني بماذا أناديك اذن ؟

— ناديني ماريانا كما أناديك تتيانا . ألا تشرين معنا قدحاً من الشاي ؟
— سأقبل الدعوة هذه المرة فقط . وإن كان زوجي سيوغني

— اذن اجلسي يا تتيانا

— شكراً لك ياماريانا

ودار الحديث حول هذه المنطقة وكيف أنها لا بالمدينة ولا بالريف ، جمعت
أسوأ ما فهمنا . وأنه لولا سولومين لكنت تتيانا هاجرت مع زوجها . وأبدت
ماريانا رغبتها في أن تطعمها تتيانا الطهو . لأنها راغبة في أن تحترف شيئاً يكون
مصدر رزق لها

فاعترضت تتيانا على ذلك قائلة :

— ان مهنة طاهية لن تيسر لك عملاً إلا في قصر من قصور السراة .

وهذا يملكك عن الشعب

— في استطاعتي أن أعمل في قصر وأعيش بقلبي ووجداني مع الشعب
— وهناك صعوبة أخرى . لن يفوت مخدوميك أنك تنتمين الى الطبقة
العالية مهما كانت ثيابك متواضعة . فأنت مثلاً تدخين

فقدت ماريانا ببيعجارتها من النافذة وقررت أنها لن تدخن . وفي هذه
اللحظة سمعت أقداماً تصعد السلم ، ثم صوت سولومين يستأذن في الدخول .
وقد سره كثيراً أن يرى تتيانا تتناول الشاي مع صاحبيه ، وأطرى عقليتها
ومنطقها ثم أخبرها أن مخدومه صاحب المصنع حضر وسيتناول معه الغداء .
ولهذا سوف ينشغل به ذلك اليوم . ولكن لن يعطيل المكث

— أما طعامكم فستأتي به تتيانا الى هنا . ولا يمكنكم مغادرة الحجره لأن

آل سيابجين يذنون الآن وسمهم في تعقب آثارك وتسم أخبارك يا ماريانا
وأبدي نجلدانونو رغبة في أن يحاط ماركيلوف علماً بمكانهما . وأن يتم
اعداد ثياب تشكرية له شخصياً على حسب اتفاق سابق مع سولومين . فوعد
بذلك وأرعد

— ولا بد أنكما الآن تشعران بالثعب . هيا بنا يا تقيانا
وهكذا خلا المكان للماريانا ونجدانوف مرة أخرى



تشابكت أيديهما في صمت . ثم أبتسماريانا استمداها لمعاوته في تنسيق حجرته . وعلى الفور شرعت تخرج ما في حقيته . ولما أراد أن يشترك معها اعترضت بحجة أنها يجب أن تتمرن على العمل اليدوى . وعلقت ملبسه فوق سلمير اكتشفتها في درج للنضدة . ودقها في الحائط بظهر فرشاة . ثم ربت ملبسه الداخلية في أدراج من دولا ب ضمر وجدته في الركن بين النافلتين . ثم وضعت الحذاءين تحت الأريكة ، أما الكتب فوضتها فوق مائدة ذات ثلاثة أرجل أطلقت عليها اسم المكتب . أما للنضدة الكبيرة للسندرية قسمتها مائدة الطعام والشاى . ثم تناولت الكراسة الصغيرة التى يكتب فيها أشعاره ورقعتها الى مستوى وجهها ، ثم نظرت من فوقها الى نجدانوف وقالت باسمه :

— سنقرأ هذه الكراسة لنا فى أوقات فراغنا . أليس كذلك ؟

— كلا كلا ! بل أعطينا لأحرقها ! ما جدوى الشعر ؟

— لن أدعك تحرقها . بل سأضعها فى حجرى

وأوشك أن يتراض ويحتج ، فاندفعت بها الى الحجرة الأخرى وعادت بدونها ، ثم ساد الصمت للشبع بالحرج بينهما . الى أن ابتسمت هى وقالت :

— يبدو لى أننا كلينا شعر بدم الارتفاع . كئى عرسين شاين يخرجنا

من بيت فويهما لأول مرة لقضاء شهر العسل معا . فكل شيء بين يديهما ،

ولكنهما مع هذا يشعران بالوحشة والتيب وعدم الارتفاع

فابتسم نجدانوف ابتسامة مضطربة وقال :

— تطبلن جيداً يا ماريانا أننا لسنا مضطربين بسبب جهلنا معنى شهر

العسل ..

— ان شهر العسل لا توقف بدايته الا عليك أنت

— وكيف كان ذلك ؟

— يا عزيزى أليوشا . بمجرد أن تقول لى انك تحبني من أعماق نفسك

ذلك الحب الذى يحول لشخص الحق فى حياة شخص آخر ، سأصدقك فى الحال

لأننى أعلم انك صادق مخلص شريف . ومنذ تلك اللحظة أكون لك

فاحمر وجه نجدانوف وأشاح قليلا وقال :

— عند ما أقول لك انى ...

— أرايت ؟ انك لم تبادر بقول ذلك يا أليوشا . وهذا يدل على انك كما توهمت فيك رجل صادق مخلص شريف . والآن لتغير الموضوع وتحدث فى شىء جدى !

— ولكنى أحبك يا ماريانا

— لست فى شك من هذا ... وسأنتظر . ولكن ما هذا الشىء الملقوف

الذى لم أرته فى مكانه ؟

فالتفت نجدانوف وقفز من مكانه وهو يناشدها ألا تمسها ، فرفعت حاجبها فى دهشة وقالت له :

— أسر هى ؟ أخفى عنى سرأ ؟

— نعم . انها صورة ...

— صورة امرأة ؟ إذن خنّها واحتفظ بها

وتاولته اللقافة . فتناولها مرتبكا فسقطت من يده واقتحمت وعندئذ

صاحت :

— عجباً ! انها صورتي أنا . هل أنت الذى رسمتها ؟

— ليس أنا . بل ماركيلوف

— وكيف صارت اليك إذن ؟

— هو أعطانها ...

ثم شرح لها بأيجاز ظروف ذلك الاهداء . وجعلت هى تردد النظر بينه وبين تلك الصورة . ثم خطر لهنّيهما فى وقت واحد ذلك الخاطر المائل

— لو كان هو فى هذه الحجرة ، إذا لكان من حقّه أن يطلب منها ...

يد ان نجدانوف لم يفصح عن هذا الخاطر ، وكذلك هى . وربما كان ذلك لأن كلا منهما فطن الى ما يحول فى ذهن الآخر . وغنمت ماريانا قائله :

— ياله من رجل طيب القلب ! ترى أين هو الآن ؟

— فى بيتطبّا . وغداً أو بعد غد يجب أن أذهب لزيارته بخصوص بعض

للنشورات التى وعدنى بها

— وهل تعتقد يا أليوشا انه حين أعطاك هذه الصورة تنازل حقاً عن

كل شيء ، عن كل شيء ، إطلاقاً ؟

— أعتقد ذلك ...

— وهل تظن أنك ستجده في بيته ؟

وفي هذه اللحظة أقبلت تينا تاحملاً العشاء ، قضت ماريانا بصرها ثم جلست إلى المائدة في حين جلست تينا على حرف النافذة . وبعد قليل قالت :

— ان قلبي يتنفس تأثراً وأنا أرقبك فأرى فيكما صورة حبة الحبيبين رقيقين . لقد جدتما إلى أهواء الشباب . وان قلبي لينفطر حين أفكر في ان أمثالكم الذين يتعقبهم القيصر ورجله ليرجوا بهم في السجون قال مجذافوف :

— لا تخوفينا من فضلك !

وأرادت ماريانا أن تثير موضوع الحديث فسألتها :

— هل عندك أطفال يا تينا ؟

— أجل . عندي غلام ينهب الآن إلى المدرسة . وكانت عندي ابنة . ولكن الصفورة الصغيرة طارت . حدث لها حادث . سقطت تحت عجلة ولبتها قتلها في الحال ! لقد تمذبت للسكنة طويلا . ومنذ تلك اللحظة ازداد قلبي رقة . أما قبل ذلك فكنت صلبة عاتية كأني الدوحة الراسية — لماذا ؟ ألم تكوني تحبين بافل ؟

— طبعاً كنت أحبه . ولكن ليس ذلك النوع من الحب . كنت أحبه عشاعر فتاة مفتونة بنفسها مشغولة بها ... وأنت أحبيته ؟

— طبعاً أحبه ، كثيراً جداً

ثم قلت بصرها بينهما وسكتت إلى أن استأنفت ماريانا الحديث :

— أريد منك خدمة يا تينا .

— بكل سرور

— أريد صوقاً خشناً قوياً . كي أغزل جوارب عادية

فوعظتها تينا أن تحضر لها ما أرادت ثم قامت فخطفت للمائدة من أثر الطعام الصامت وخرجت بخطوة ثابتة هادئة

وعندئذ التفت ماريانا إلى مجذافوف وقالت له :

— والآن ماذا نضع ؟

ومن غير أن تنتظر جواباً استطردت تقول :

— مادام ليس أمامنا اليلة شيء مهم ، وعملنا الجدى فى القضية سوف لا يبدأ قبل الغد . فلماذا لا نخصص اليلة للأدب ؟ وما قولك فى أن نقرأ أشعارك ؟
أنى أعدك أن أكون ناقدة قاسية

وتنمى نجدانوف فى مبدأ الأمر . يدان إلحاحها كان أقوى من معارضته فأته بالكراسة وراح يقرأ منها بصوت مرتفع . وجلست مارينا ملتصقة به ، وراحت تخلق فى وجهه وهو يقرأ . ولما شرعت تنقده فى ختام القصيدة ، أثبتت أنها كما قالت حقاً عن نفسها ، ناقدة شديدة المراس :

— ان مثل شعرك هذا يجب أنصفاك . لا لأنه شعر جيد . بل لأنك انسان طيب ، وشعرك يمثلك !

فابتسم نجدانوف وقال :

— لقد وارىت شعرى التراب وأنا معه

فربت على ظهره ضاحكة . ثم قالت :

— الآن أريد أن أنام لأنى أشعر بالتعب . وبهذه المناسبة هل تعلم أن معى مائة وثلاثون روبلا ؟ وكم معك أنت ؟

— ثمانية وتسعون ..

— هذه ثروة بالنسبة لحالتنا الشعبية الجديدة . والآن طاب ليلك والى الصباح وبعد دقيقتين أطلت من باب حجرتها وصمها تقول مرة أخرى :

— طابت ليلتك !

ثم دار القفل فى المفتاح . فهوى نجدانوف فوق الأريكة ، وغطى وجهه بكفيه



جصاد.. وأحلام

في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى طرق نجدانوف باب ماريانا ، فلما سألت من الطارق ، أجابها :

— أنا . هل يمكنك أن تخرجى إلى لحظة ؟

— في مدى دقيقة واحدة

وبعد دقيقة خرجت إليه ، فأطلقت عندما رأيته صيحة ذعر. لأنها لم تعرفه في بداية الأمر ، إذ كان مرتدياً زياً تنكرياً غريب الشكل . وقد لف حول عنقه منديلاً أزرق وأمسك في يده قبعة ممزقة ، ولبس في قدميه حذاء قندراً

— يا إلهى ! ما أقبح منظرك !

ثم طوقته بنزاعها وقبلته بسرعة وسألته :

— ولكن لماذا فعلت بنفسك هكذا ؟ إنك تبدو مثل خادم متقاعد.. لماذا،

لم تتخذ ثياب الفلاحين بكل بساطة ؟

— لأننى على قول بافل كنت أفتضح لأول وهلة . أما هذا الزى فيبدو

للناظر أننى خلقت له . وهو تقدير لا يرضى غرورى كثيراً

— وهل اتبوت أن تبدأ فوراً ؟ إنك حقاً هام

— ان بافل ساعدنى كثيراً ، فهو رجل ذكى لبق . ومن أخلص الأنصار

للقضية . وقد ذهب بنفسه فأحضر لى الكتب وللشعورات من عند ماركيلوف

لأنه يعرفه من قبل . وهو في الوقت نفسه مخلص جداً لسولومين ومستمد أن

ينحوض النار في سبيله

— وكذلك تتيانا مخلصه له جداً . ترى لماذا يوحى الى الناس بالولاء ؟

فسكت نجدانوف ولم يجب . وفي هذه اللحظة دخل سولومين فهتف :

— ها أنت ذا .. ان هذا الزى لا يوحى لأى إنسان بأن يكلمك بأدب .

ثم ان الساعة ما زالت مبكرة فلا تخرج الآن

— أردت فقط أن أتود على الزى الجديد. وسأخرج بدليل لاكتشف
المنطقة . وسأكتفى بذلك الى أن تصدر أوامر أخرى
— بهذه المناسبة أريد أن أقدم لك نصيحة . ان معك منشورات وكتباً
للداية . وزعها أينما شئت . إلا بين عمال للمصنع ا
— ولم لا ؟

— أولاً لتأمين عمل اقامتك . وثانياً لأنى قطعت على نفسى وعداً لصاحب
المصنع ألا أمارس ذلك النوع من النشاط هنا من حيث أنه قام بإنشاء مدرسة
وعيادة طبية

فوعده بمجدانوف بذلك وهو يتسم ابتسامة ساخرة . وفي هذه اللحظة
برزت عند عتبة الباب مارينا مرتدية ثوباً من قماش رخيص مطبوع ، وفوق
رأسها منديل أصفر ، وطى كنفها شال أحمر . فبدت في هذا الزى أكثر
اشراقاً ووضاءة . فلما نظر إليها سولومين باعجاب احمر وجهها . فاتفجر
سولومين ضاحكاً ، وانتقل للريح الى الجميع حتى تتيانا ، ما عدا بمجدانوف الذى
تشبث بمظهر الجدة ، ثم نهض بمجدانوف وخرج هو وتتيانا وبقي الاثنان مآ .
فظل ساكناً ، فرفضت إليه وجهها مستغربة صمته ، فوجدته ينظر إليها
باستطلاع ، فاجمر وجهها مرة أخرى. وشعرت باضطراب خفى وعندئذ مد لها
يديه وقال :

— وأنت أيضاً ها قد بدأت . وارتدبت ثياب حياتك الجديدة . وإنى
لأتصورك بزيك هذا وراء التاريس تحمسين الثوار وتضمدين الجرحى وتهتفين
للجمهورية

— اننى أحلم بشئ أهم من هذا . أحلم باشتراك فعلى في المعركة
— ان تعليم الشعب وتربية الأطفال ومداواة المرضى اشتراك في المعركة
— لن يكفينى هذا . ولكن حق ما تقول يجب أن أتعلم من تتيانا . يجب
أن أتعلم ما هى روح الشعب وما هى معيشته . يجب أن تبلى يداى من غسل
الأطباق وأواني الطبخ ا يجب أن أحس بما تحس به امرأة من الشعب ا أريد
أن أرفع الى المستوى العظيم الذى يحقق حلمك بالمرأة الروسية . وبعد ذلك
أموت راضية يا سولومين
فوقف سولومين وحلق فيها ثم قال :

— كلا. الأفضل أن تعيشي للقضية لا أن نموت في سبيلها ! هذه هي النقطة الجوهرية . أن نحقق الحياة لأن نموت . وبهذه المناسبة ، ان كنت تريد أن تعرفي ماذا يحدث لدى آل سيياجين فليس عليك إلا أن تبدى إشارة لبافل فيأتيك بالخبر اليقين في أقل من لمح البصر

— يا له من رجل مدهش !

— انه مدهش حقاً بكل تأكيد . وحالما تريد الزواج من نيجدانوف ، يمكنه أن يرتب ذلك أيضاً لك فيذهب لاحضار القس زوسيم فوراً . ولكن ربما لا يكون هذا ضرورياً حتى الآن . أليس كذلك ؟
— كلا ليس ضرورياً للآن

قهض سولومين وتوجه بين الباب الفاصل بين حجرتها وحجرة نيجدانوف وغص القفل ، فسألته ماريانا بدهشة :

— ماذا تصنع ؟...

— أهو يقفل جيداً ؟...

قضت طرفها وقالت همساً :

— أجل !...

فنظر إليها ملياً ، ولكنها لم ترفع عينها . فاتجه نحو الباب ليخرج وإذا بها تستوقفه

— نعم ؟...

— لماذا ينطلق لسانك معي مع أنك تؤثر الصمت في معظم الأحيان ؟
انك لا تدري مبلغ السرور الذي تدخله على نفسي بذلك

فتناول سولومين يديها الصغيرتين اللناعيتين في يديه الكبيرتين الصلبتين وقال بصوت خفيض متدقيق :

— لماذا ؟. لماذا سألتني هذا السؤال ؟ لعل السبب أنني أجبك كثيراً !

ثم أظلت يديها وانصرف

ووقفت ماريانا تنظر في أثره متفكرة . وبعد برهة ذهبت الى تتيانا وشربت معها الشاي وغسلت بضعة آنية . بل وتولت عملية الحمام والتمشيط لبضعة أطفال من أبناء العمال

وقبل الغداء عادت الى الحجرة . ولم يلبث نيجدانوف أن وصل فدخل يعلوه

- التراب ، وألقى بنفسه على الأريكة . فنهبت على القور وجلست بجانبه
- خبرني بكل ما حدث لك
- التقيت صديقة بأربعة رجال . فمررت عليهم منشوراً . فسألني الأول
أهي كتب دينية . ولما أخبرته رفض أن يأخذها
- والثاني ؟
- الثاني كان لا يعرف القراءة ولكنه أخذها ليتفرج أولاده على ما فيها
من الصور
- والثالث ؟
- بدا أن فيه بعض الأمل . ولكنه عند مناقشته سبني وألقى بها في وجهي
- والرابع ؟
- والرابع لم يثر أي متاعب . لقد اكتفى باستقاء كتاب صغير أخذه
شاكراً . وجل يضي مفتوح القم لم يقتله له . ولكنني أشك كثيراً في أنه
فهم حرفاً
- وماذا عندك أيضاً من الأخبار ؟
- عندي كالو في قديمي من هذا الحذاء . وعندي جوع شديد . وعندي
صداع أشد لكثرة ما تجمعت من كثوس القودكا للترعة
- ولماذا أفرطت في الشراب ؟
- كي أتألف قلوب من التقيت بهم وجالسهم . ولكنني جلست في خمس
حانات . فكانت النتيجة كما ترى . وأنا لا أطيق هذه القودكا
- ألم تثرية أحد ؟
- لا أحد ، ما عدا رجل البار في حانة منها . قد راح ينظر الى نظرات
فاحصة من عينيه الضيقتين التائرتين في وجهه المكتر
- فربت ماريانا على رأسه معزية وقالت :
- لا بأس . أرجو لك حظاً أسعد في اللفاقامة ، وأنى مسرورة لأنك
استطعت أن تنظر الى السائل من ناحيتها الكساحية . واللهم أن تكون قد وجدت
شيئاً من اللذة في هذا العمل
- لقد وجدت لذة فعلاً . ولكنني أعرف طبعي . انني خليق أن أراجع
نفسى وأستعيد تفاصيل ما حدث فاغتاظ وأشعر بالنعاسة

— لن أدع لك الفرصة لذلك . وأنا أيضا سأخبرك بكل ما صنعت في يوى .
ولكن بعد الطعام ، فيكون جاهزاً بعد دقيقة ولئن كنت لم أتم بطهوه ،
ولكن قد يسرك أن تعلم اننى أنا الذى غسلت بنفسى آية الطبخ
وانطلقت تمس عليه تفاصيل ما حدث في يومها . فكان نجدانوف يصنى
اليها وهو شاخص البصر اليها . فتوقفت جملة مرات لتسأله لماذا ينظر اليها بهذا
الشكل ، فلا يجيبها

وبعد الفراغ من الطعام عرضت عليه أن تقرأ له صوت مرتفع . فوافق .
ولكنها لم تكذب ثم صفحة واحدة حتى نهض واقفا على حين غرة ثم ألقى بنفسه
تحت قلمبها . فنهضت واقفة . فطوق ركبتها بذراعيه وراحت تتدفق من فمه
ألفاظ العاطفة الفائرة المحبوسة ، ويؤكد لها انه يريد أن يموت . بل انه واثق
انه سوف يموت في وقت قريب .

ولم تحرك ماريانا . ولم تقاوم . بل أذعنت في هدوء تام لعناقه المهوم
لركبتها . وبهدوء ، بل وبحطف ومودة ، كانت ترمقه بنظرها من أعلى . ثم
وضعت يديها كلتاهما فوق رأسه الذى كان يحاول جاهداً أن يمس به بين طيات ثوبها
وحدث ما كانت تتوقفه ، إذ كان لمدها الراسخ تأثير أعمق في نفسه
وسلطان أقوى مما لو كانت دفعت عنها . قهض من تلقاء نفسه وهو يغمض :

— سامحني ياماريانا على ما اقترفته اليوم ، وبالأمس . وقولى لى مرة أخرى
انك مستعدة كل الاستعداد أن تنتظري الى أن أغدو جديراً بحبك
— لقد وعدتك بذلك . وأنا لا أخلف وعدي أبداً

— شكراً لك يا عزيزتى

ثم نهض نجدانوف فقاد حجرة ماريانا . وأضلت هى الباب بالفتاح



وبعد أسبوعين ، جلس نجدانوف في هذه الغرفة عنها يكتب خطاباً بعد
متصف الليل الى صديقه سيلين ، وقد انتشرت في الحجرة ثياب ملطخة بالطين
ومن هذا الخطاب الطويل نورد الفقرة التالية التى تصور أحداث الأسبوعين :
« انى أكتب اليك يا عزيزتى فلاديمير من غير أن أذكر لك عنوانى .
وسيحمل اليك هذه الرسالة البريد لا من اللوح الذى أنا فيه . إذ سيقوم
رسول بارسالها من مكتب بريد يمد عن هذا اللوح جملة أميال . فكانى سر .

والبوح به بجر الولايات على أشخاص سوى . ولكن يكفي أن تعلم اني عشت هذين الأسبوعين في مصنع كبير ومعى ماريانا . قدهرنا من عند المسيياجين في اليوم نفسه الذي بشت لك فيه خطابي الأخير . بيد ان اقامتنا هنا وقية وسرحل عند ما يحين وقت العمل . ولكن يبدو من الظروف ان هذا الوقت ليس قريب الوقوع

« وأحب أن أصارك يا عزيزي فلاذيعر أولاً وقبل كل شيء انه ولو انا هربنا معاً إلا انا نعيش حتى الآن كلغ وأخت . وهي تمنحني وصارحتني انها ستكون لي في أى لحظة أشعر فيها ان من حقى أن أطلب اليها ذلك » وللصية يا فلاذيعر اني لأشعر انلى هذا الحق ! انها تثق بي وبجرفي .

وليس في مقدورى أن أخذعها . وفي الوقت نفسه أنا واثق اني لم أحب ولن أحب شخصاً آخر أكثر مما أحبها . ولكن كيف يمكن أن أربط بين مصيرها ومصيرى ؟ كيف يمكن أن أربط بين كائن حى وجثة متحللة ، أو على الأقل جثة نصف ميتة ؟ ان ضميرى لا يمكن أن يسمح لي بذلك

« وبخيل الى انك تقول لنفسك الآن ان العاطفة لو كانت قوية لحرس الضمير . وهذه هي للصية يا فلاذيعر . أنا جثة ليس لديها القدرة العاطفية الجارفة ! » اني أفكر جدياً أن أذهب فأطوع في أى حرب في أى بقعة من جاع الأرض بين ظالمين ومظلومين . لا لأفزع من أجل الحرية فحسب ، بل وأيضاً وقبل كل شيء كي أضع حداً لحياتى !

« اننى انسان تص خائر ! وما أعظم الفرق في هذا بيني وبين مضيئنا . انه رجل محدود . ينتمى الى مصكرنا ، ولكنه رزق هدوء النفس والطمأنينة لهذا تراه لا يتجمل الأشياء . وأنت تعرف طبيعة النارية . فلو كان سواه في مكانه لاصطدمت به . ولكن مع هذا الشخص كل اصطدام مستحيل . والسر في ذلك ليس في رأيه ، بل في شخصيته . ومع حزمه وقوته يفيض حناناً علينا وبراً بنا . ويقضى جانباً كبيراً من وقته معنا ومع ماريانا على الخصوص

« ان ما يدهشنى انه على الرغم من الحب الذى يبتسأ لا نجد موضوعاً للحديث حين نكون وحدنا . في حين أراها دائماً تحدته وتتاقشه باهتمام ولا تظن اننى أغار منه . فهو مهمم بإيجاد عمل مناسب لها

« وأحب أيضاً أن أذكر لك ان كل شيء ممهد . فند أول اشارة من يدى

يتم زواجنا فوراً وسراً بواسطة قيس من ذوى قرياه . بيد ان هذا القران
لن يسهل لى الأمور ولن يخبر من الواقع شيئاً »



وفى الصباح السالى أيقظته ماريانا وهى تحتاز غرقته لتذهب الى تتيانا .
فلما عادت كان قد ارتدى ثيابه . وكان السرور والتطلع مرتسمين على وجهها
قالت له :

— أتندى يا أليوشا اتها بدأت فى مقاطعة ت . القرية من هنا ؟

— ماذا ؟ ما الذى بدأ ؟

— الحركة . للوقفة . بافل أخبرنى بذلك . قال آن الفلاحين تمردوا
وتجمعوا ورفضوا أداء الضرائب ، وها هو بافل فاسأله بنفسك
وأكد بافل ما قالته ماريانا . ثم أردف :

— لا شك ان السيد ماركيلوف له أصبع فى تلك الحركة . فهو غائب عن
بيته منذ خمسة أيام

فتناول نجدانوف قبعة الملهمة . فسأته ماريانا :

— الى أين من غير افطار ؟

— الى هناك طبعاً . الى مقاطعة ت

— ولكن آتية معك . انتظر حتى آخذ شالى

وذهبت الى حجرتها لتحضر الشال . فرفع بافل حاجبيه ثم أسرع ليخطر
سولومين . وقبل أن تخرج ماريانا من حجرتها الى حجرة نجدانوف كان
سولومين قد حضر . فوجد نجدانوف واقفاً ووجهه الى النافذة وقد أراح
جبهته على راحة يده التى كان مرقها فوق حرف النافذة . ففسس سولومين
كفنه . فاستدار بسرعة . فاذا بمنظره . وهو غير حليق اللحية يفت الرعب ،
إذ كانت النظرة التى أطلت من عينيهِ نظرة غريبة تكاد تكون وحشية

وكان سولومين نفسه قد تغير فى الأسبوعين الأخيرين كثيراً . فاصفر وجهه
واستطال . وكان الاضطراب يبدو عليه فى تلك اللحظة بقدر ما تسمع بذلك
طبعته الرزينة المهادنة . وقال لنجدانوف حين تواجها نظرتهما :

— لم يستطع ماركيلوف أن يتحكم فى أعصابه فبدأ هذه الحركة من تلقاء
نفسه . وقد تتممض عن ضرر هائل له ولسواه

— انى أريد أن اذهب الى هناك وأرغب الحالة بنفى

— وأنا أيضاً أريد أن أذهب !

وكان هذا الصوت صوت ماريانا وقد وقفت فى عتبة الباب ، فالتفت نحوها

سولومين وقال بحزم :

— لا أستطيع أن أنصح لك بالذهاب يا ماريانا . قد يؤدى هذا الى

اختضاع أمرك وأمرنا ، من غير قصد ، ومن غير موجب . فاتركى نجدانوف
ينهب بمفرده ليرى الحالة مادامت هذه رغبته . وكلا عجل بالعودة كان أفضل .

أما أنت فما لزوم ذهابك ؟

— لا أريد أن أفرق عنه

— ولكنك ستكونين أداة تعطيل وارتباك له

فظفرت ماريانا الى نجدانوف الذى وقف جامداً وقد اتخذت سحته مظهر

الصلابة . عندئذ سأله ماريانا :

— ولنفرض انه كان ثمت خطر ؟

فابتسم سولومين وقال لها

— لا تخافى . متى صار هناك خطر حقيقى سأدعك تنهين

فزعزت ماريانا شالها من غير أن تتكلم وجلست . فتحول سولومين الى

نجدانوف وقال له برفق شديد :

— يحسن بك أن تفتح عينيك جيداً . وأنا أعتقد ان الأخبار فيها كثير

من الباطلة . وأرجو منك أن تعود بأسرع ما تستطيع . أتمدنى بذلك ؟

— أجل . ما دام كل شخص هنا فيما يظهر يدين لك بالطاعة ، حق ماريانا

ثم أسرع بالخروج من غير تحية . وإذا بافل يربز من السلم المظلم ويتيمه

عن كئيب . فهل لديه أوامر بملازمته ؟

— أما سولومين فجلس بجوار ماريانا وقال لها :

— أسمعت كلمات نجدانوف الأخيرة ؟

— أجل . انه مغيظ لأننى أصنى اليك أكثر مما أصنى اليه . وهذا هو

الواقع . أنا أحبه هو ولكنى أطيعك أنت .. لأنه عزيز على .. أما أنت

فكثير منى !

فربت سولومين على يدها بلطف ، ثم قال :

— إن صح أن ماركيلوف له صلة بهذه الحركة . فقد قضى عليه . لأنى أعرفه رجلاً مندفعاً لا يقف في منتصف الطريق ولا يغنى ما في نفسه من أجل غيره .

— ولكن ما الذى يملك على اعتقاد أنه لا ينجح ؟
— وحتى لو نجح . فالتقاعد فى جميع هذه الحركات إن من يبدأونها ينهبون ضحيتها حتى ولو نجحوا . ويستمر الحال كذلك إلى الصف العاشر أحياناً .
— إذن أنت تعتقد أننا لن نعيش لنرى النصر ؟
— النصر الهائى الذى يحقق مثلنا الكاملة ؟ كلا لن نراه بأعيننا هذه .

ولكن فى استطاعتنا أن نراه بين البصرة
— إذن لماذا تسير فى هذا الطريق ؟
— لأنه لا طريق سواه
— ألم تجد لى عملاً بعد التحقق به ؟

— هل أنت متلهفة إلى هذا الحد على الانتقال من هنا ؟
— أريد فقط أن أقوم بعمل نافع
— ولكنك ناعمة هنا يا ماريانا . فلا تفارقينا فى الوقت الحاضر
وفى هذه اللحظة طرقت الباب تتيانا ، فسألها سولومين ماذا تريد ، فأجابت
وهى تضحك وتلوح يديها :

— حضرت امرأة وسألت عن السيد نيجدانوف . قتلها اننى لا أعرف أحداً بهذا الاسم . وإذا بها ...
— ولكن من هى ؟

— تلك المرأة طبعاً . لقد كتبت اسمها على هذه الورقة وطلبت منى أن أحضرها إلى هنا ، وأبديت استعدادها إن لم يكن السيد نيجدانوف موجوداً الآن أن تنتظر عودته . وهذه هى الورقة

وكان للكتاب على الورقة بحروف كبيرة كلمة واحدة : « ماشورينا »
قال سولومين :

— أدخلها . ولا أظنك تمانين فى ذلك يا ماريانا . فهى واحدة منا
وبعد بضع دقائق ظهرت ماشورينا عند الباب ، فى نفس الزى الذى رأيناها ترتديه فى مفتتح هذه الرواية

سألت ماشورينا وهي عند الباب :

— أليس نجدانوف موجوداً ؟

ثم فطنت لوجود سولومين فتقدمت نحوه وبسطت إليه يدها . ثم رمت مارطانا بنظرة جانبية وسأله :

— كيف حالك ياسولومين ؟

— انه سيعود بعد قليل . ولكن خبريني أولاً كيف عرفت ؟

— أخبرني ماريكوف . ثم ان عدداً لا بأس به من أهل البلدة يعرفون

الآن يقيناً انه يقيم هنا

— حقاً ؟

— نعم . فلا شك ان أحداً أفنى السر . ثم ان نجدانوف نفسه اقتضج

— رغم كل هذه اللابس التكرية ! ولكن اسمحي لي أن أقوم بالتقديم .

الآنسة سينفسكا . والآنسة ماشورينا !

فأومأت ماشورينا برأسها إيماء يسيراً ثم جلست وقالت :

— إنى أحمل رسالة لنجدانوف ورسالة أخرى لك ياسولومين

— رسالة ؟ ومن ؟

— من شخص معروف لك جيداً ... وهل كل شيء على استعداد ؟

— بل لا شيء مطلقاً على استعداد !

فتحت ماشورينا عينيها أقصى ما استطاعت وقالت :

— مطلقاً ؟

— مطلقاً !

— وهل هذا ما تريدني أن أقوله عنك للمستولين ؟

— نعم .. !

فشردت ماشورينا متفكرة ثم أخرجت من جيها سيجارة أشطتها وقالت :

— كانوا يتوقعون رداً آخر . يختلف اختلافاً كلياً عن ذلك . وعلى كل

حال هذا شأنك أنت . ولا أتوى أن أطيل للكث هنا . فقد أردت فقط أن

أقابل نجدانوف وأسلمه الخطاب الذي حملته إليه

— وإلى أين أنت راحلة من هنا ؟

— إلى مكان بعيد جداً

(والواقع أنها كانت ذاهبة الى جنيف ، ولكنها لم تصارخ سولومين لأنها لا تثق به ولأن ماريانا موجودة معهما . فهي على جهلها كل الجهل للغة الألمانية ستبحث الى جنيف لتسلم شخصاً مجهولاً لها . ٢٧٩ روبلا مقابل ورقة عليها رسم عنقود عنب !)

— وأين استرودوموف ؟ هل هو معك ؟

— كلا ولكنه قريب من هنا . وسيحضر بمجرد الحاجة اليه

— وكيف وصلت الى هنا ؟

— في عربة بالطبع . أم ترى كيف كنت تريدني أن أحضر ؟

وفي هذه اللحظة سمع صوت عملل ينادى سولومين لاحتياجه في الصنع اليه فاعتذر وذهب . فثبتت ماشورينا نظراتها على ماريانا مدة طويلة . الى أن شمرت ماريانا بالحرج . وعندئذ صاحت بها ماشورينا فجأة بصوت جاف :

— لا تؤاخذيني فأنا امرأة من العامة ولا أعرف اللف . فلا تخضي مني ولا حاجة بك للرد ان لم ترغب في ذلك . هل أنت الفتاة التي هربت من آل سيياجين مع نجدانوف ؟

— أجل ...

— إذن أعطيني يدك . لا بد انك طيبة مادام يحبك

فشدت ماشورينا على يد ماريانا بطرقتها المترجلة . فسألتها ماريانا :

— أتعرفينه منذ زمن بعيد ؟

— منذ أيام بطرسبورج . وكذلك أخبرني ماركيلوف ...

— ماركيلوف ؟ هل رأيته أخيراً ؟

— أجل . ولكنه رحل الآن

— الى أين ؟

— الى حيث صدرت إليه الأوامر أن يرحل

— آه يا آنسة ماشورينا . كم أخاف عليه !

— أولا أنا لست آنسة . فاسقطى هذه الكلمة . وثانياً أنا لا أريدك أن تستعملى كلمة أخاف . اسقطيها أيضاً . وحين تكفين عن الخوف على نفسك سوف لا تخافين على الناس . وربما كان من السهل على ذلك لأنى قيحة الشكل أما أنت فجميلة . ولهذا يصعب عليك ذلك . وأقول لك إن ماريكولوف أخبرني انكما سيدان معاً

— هل سيقتلونه أم يرسلونه الى سيبيريا ؟

— وهل لايهود الناس من سيبيريا ؟ أما أن يفقد الإنسان حياته ، فرعاً كان هذا حلاً سعيداً لتعاب بعض الناس . ولم تكن حياة ماريكولوف مفرطة في الحلاوة !

فرمقتها ماريانا بنظرة فاحصة . وعندئذ قالت لماشورينا :

— ما أجملك ! إنك أشبه بطائر لا أظن نجدانوف سيحضر بسرعة ولذا سوف أتراك الرسالة معك . ولكن خبرني هل تحبينه ؟
— أجل

— لا حاجة بي أن أسألك هل يحبك هو . هاك الخطاب

ثم راحت تفتش في جيوبها في لفحة . وأخيراً قررت أنها قدته . ثم نهضت لتتصرف وصدقت الباب وراءها . فتركت ماريانا مشدوكة في وسط الحجرة — لا ريب عندي أن هذه المرأة تحبه أكثر مما أحبه أنا ! ثم ماذا كانت تريد بتليحاتها عن ماريكولوف ؟ ولماذا اختفى سولومين فجأة ولم يد ؟ ولماذا شبهته بالطيور ؟ أهو تليح الى الخفة والترف والهروب ؟ لماذا لم تشبهى مباشرة بالدمية ؟

قد أحست ماريانا أن هذه المرأة تحتقرها وتظن حياتها مع نجدانوف مغامرة منحلة ، وأنها لا تصلح مثلها لحياة الكفاح

ثم اتجه ذهنها بعد ذلك الى سولومين فجعلت تتساءل هل هو حقيقة ثوري مثل هؤلاء ؟ فإن من يراه يخامره الاعتقاد أنه لا ينظر الى للسألة كلها نظرة جدية . وانتقل تفكيرها بعد ذلك الى ماشورينا ونجدانوف فأوشكت أن تنشر بالغيرة لولا أنها تذكرت وجه ماشورينا فهزت كفتها باستخفاف .

وطال انتظار ماريانا وهي جالسة بمفردها ، إلى أن سمعت وقع أقدام شخصين يصعدان السلم يبطء . فتعلق بصرها بالباب

واقربت الخطوات . ثم انفتح الباب ... وإذا بمجدانوف متكئاً إلى ذراع بافل الذى يحمله من تحت أبطه . وكان شاحباً شحوب الأموات ، من غير قبعة وهو ينظر نظرة خالية من الشعور . وأجلسه بافل على الأريكة . وجلت ماريانا صحیح :

— ما معنى هذا ؟ ماذا حدث له ؟ أهو مريض ؟

فابتسم بافل بهدوء ونظر إليها من فوق كتفه قائلاً :

— لا حاجة للقلق . سيكون على ما يرام بعد قليل . كل ما هناك أنه ليس معتوداً

— ولكن ماذا به ؟

— سكران قليلاً . قد أكرث من الشراب على معدة خاوية . وهذا كل

ما هناك

فانغنت ماريانا فوق مجدانوف الذى كان مضطجماً على الأريكة ، ورأسه مائل فوق صدره ، وقد أقفل عينيه ، أما رائحة الفودكا التى تخرج منه فكانت نفاذة . كان السكين فى حالة سكر تام . وجلت تناديه فلا يجيب إلا بههمة وكادت تبكى ، لولا أن بافل أكد لها أن النوم ساعة أو ساعتين سيرده الى حاله الطبيعية فيصحو نشطاً معافى

وعندئذ أرقدته ماريانا براحة . ووقفت تنظر إليه متجبة أشد العجب كيف انتهى به الأمر إلى هذه الحالة



موقف دقيق

دخل باكلين على ماريانا بعد قليل فانحنى لها انحناء عميقاً وهو يحاول أن يخفي ما ارتسم على وجهه من علامات الرعب

— أنى من أصدقاء زوجك وكذلك من أصدقاء سولومين . وقد سمعت أن نيجدانوف نائم ومتوعلك قليلاً . وأنا للأسف أتيت بأخبار سيئة . وقد أطلعت سولومين على جانب منها . وأخشى أنه لا بد من اتخاذ خطوات حاسمة

وتداعى صوت باكلين فجأة كأنه رجل طال تمذييه بالعطش . ولا شك أن الأبناء التي يحملها مكدره جداً . إذ قبض بعض القلاحين على ماريكيلوف وساقوه إلى البلدة ، كذلك خان بعضهم جولوشكين ووثنى به قبض عليه . ولما قبض عليه اعترف على الآخرين ، واعترف بكل شيء . وليس هناك أدنى شك أنه دل على صلة نيجدانوف بالحركة ، وعلى محل إقامته . ولهذا من المتوقع أن يهاجم البوليس للمصنع فى أى لحظة . كذلك سولومين كان فى خطر

— ... وأما عن نفسى ، فأنا أعجب كيف اتنى مازلت مطلق السراح ، هذا ولو اتنى لم أكن يوماً من الأيام مهتماً اهتماماً جدياً بالمسائل السياسية ولم أشارك فى أى خطة . وقد وجدت من واجبي أن أنذركم قبل حضور البوليس . كي تتخذوا ما يمكنكم اتخاذه من التدابير ازاء ذلك

وظلت ماريانا ساكئة الى أن فرغ باكلين من كلامه . ولم يظهر عليها الفرع . بل كانت فى غاية الهدوء . ومع هذا كان لا بد من صنع شيء . فثبتت نظرها على سولومين الذى دخل فى تلك اللحظة . فوجدته أيضاً فى غاية الهدوء . وكل ما هناك ان ابتسامته المألوفة فارقت شفتيه . وأدرك سولومين معنى نظرتها . انها تسأله ماذا ينبغى أن تفعل ، فقال :

— ان الموقف محير . ولكنى أعتقد ان اختفاء نيجدانوف فترة من الزمن سوف لا يضره . ولكن بهذه المناسبة كيف عرفت انه هنا يا مستر باكلين ؟

فأشار باكلين يده إشارة غامضة وقال :

— أخبرني بذلك شخص ما . كان قد رآه ييٲ الدعاية فى للنطقة المجاورة ،
فنبه الى هنا بحسن نية ، لأنه من الأنصار . ويظهر ان صديقنا نجدانوف لم
يكن مفرطاً فى الحذر كل الافراط

— لا جدوى من القاء اللوم عليه الآن . وهو للأسف فى حالة لا تسمح
لنا بالتشاور معه . ولكنه سيكون غداً صباحاً على مايرام . وثق ان البوليس
عندنا ليس من المهتم والنشاط كما تصور . وسوف نخفّن معه ياماريانا . ويجب
ان ندر تفاصيل الحطة ممأ

— ان عندى اقتراح يامستر سولومين . وهو ان تعطى عربة فأذهب على
الفور لدى آل سيياجين ...

— لماذا ؟ ألك بهم معرفة ؟

— لا أعرفهم مطلقاً ولكن أرجو أن تنظر لاقتراحى بعين الاعتبار .
ان ماركيلوف شقيق زوجة سيياجين . فهل من اللعول ألا يتحرك لاقتاذه .
وأما من جهة نجدانوف ، فهما كان غضب سيياجين عليه فلا أظنه يتخلى عن
اقتاذه أيضاً لأنه أصبح نسيه بزواجه منك .
قالت ماريانا بكل ثبات انهما لم يتزوجا ...

— ماذا ؟! ألم تستطعا تدير هذه للسألة كل هذا الوقت ؟ لا بأس .
نستطيع أن نخالف الحقيقة قليلا . ثم أننا ستزوجان فوراً . إذ لا يوجد فيما
يبدو حل آخر . ولا سيما ان سيياجين لم يطاردكما لغاية الآن مما يدل على ان
فيه صراحة . وإن كنت أرى ان هذا التعبير لم يرقى لديك ياسيدتى ! فلماذا لا
نستفيد من هذه الصفة فيه ؟

فرفت ماريانا رأسها ومرت يديها فى شعرها ، ثم قالت :

— لك أن تستغل خلق سيياجين كما تشاء لمصلحة ماركيلوف أو لمصلحتك .
أما نجدانوف وأنا فلا نريد أى حماية من سيياجين . فنحن لم نقادر بيته لنموذ
فنطرقه فى صورة للتسولين !

— يؤسفنى جداً أن أسمع منك هذا القرار . لأن سيياجين رجل واسع
النفوذ . وما رأيك أنت يامستر سولومين ؟

— رأي الخاص انه مشروع عملى . وإن كان أملى فى نجاحه ليس كبيراً .

ولكن لا ضير من المحاولة على كل حال
— أجل . فلنعرض آسهم رغبوني من قتلى وأقتوا بى خراجاً ؟ أى ضرر
فى هذا ياسيدى ؟ والساعة الآن الخامسة فأمر بإعداد الخيل
ودخلت ماريانا على نجدانوف وراحت تهزه عسى أن يفىق ، فتنه قليلاً ،
فوضحت له للوضوح فى الوقت الذى كان باكلين فى طريقه الى ضيعة آل
سيياجين . ولما استطاع نجدانوف أن يضى بوضوح معنى ما تلقىه على سمعه ،
قال بصوت ضعيف :

— ولكن لماذا ذهب الى سيياجين بالذات ؟
— ليحثه على التدخل بنفوذه لدى البوليس
جلس نجدانوف وقد طار من رأسه كل أثر للخمر نهائياً
— من أجلنا ؟
— بل من أجل ماركيلوف . وكان يريد أن يوسطه من أجلنا أيضاً بيد
أنى منعت . فهل أحسنت صنعاً يا عزيزى ؟

فجل نجدانوف يكرر عبارتها الأخيرة بصية . ثم مد اليها ذراعيه وهو
جالس لا يستطيع التهوض على قدميه ، وانهمرت دموعه واستولت عليه رعدة
حيرتها وأخافها . وتلففته بين ذراعيها وتركته يبكى على كفنها فى انتظار مايقوله
بعد ذلك وهى تردد :

— ماذا أجابك يا عزيزى ؟ لماذا تبكى ؟ ألا أنك عدت فى حالة غير طبيعية ؟
أم أنت حزين من أجل ماركيلوف ، أم خائف عليه ، أم على نفسك ؟ أم تراك
تبكى على آمالنا الضائعة ؟ ما كان ينبغى أن تتوقع أن نسير فى كفاحنا على بساط
من الورد باستمرار

فرفع نجدانوف رأسه فجأة وتغلب على البكاء بمشقة ثم قال :
— لست خائفاً يا ماريانا على أحد . بل أنا آسف . آسف لك أنت يا ماريانا .
لأنك ربطت مصيرك برجل ليس أهلاً لك

— ولماذا ليس أهلاً لى ؟
— لأنه على الأقل ينوح باكياً عند المذائد
— لست أنت الذى يبكى . وإنما هى أعصابك !
— وهل يمكن أن تفصل بينى وبين أعصابى ؟ انظرى فى عيني يا ماريانا

واصدقنى ، ألا تشعرين الآن بالندم على انك هربت معى ؟
 — كلا .. لا أشعر بالندم مطلقاً ..
 — وهل تنهين معى عن طيب خاطر الى أى مكان ؟
 — أجل . الى أى مكان . قد عاهدتك على ذلك . وطالما ظلت الرجل
 الذى أحبه فلن أنقض عهدى مهما حدث ..
 وعندئذ قال نجدانوف فى نفسه :
 — فى اللرات السابقة كانت تترك نفسها عند ما أعاقها كالتخال . أما الآن
 فأحس عند عناقها ان شيئاً داخل بدنّها يتراجع بعيداً عني ، بكل رقة !
 وكأنما أراد أن يهرب ، فأطلقها من ذراعيه ، فاذا بها تبادر بالانسحاب
 قليلاً فقال :
 — إن كنا تنوى أن نهرب معاً قبل أن يدهمنا البوليس ، أرى من
 المستحسن أن نزوج أولاً . فربما لم نجد قسيساً يقوم بذلك الزواج بصفة سرية
 مثل الأب سوزيم ابن عم سولومين
 — أنا على تمام الاستعداد
 — يا للشجاعة الرومانية ! يا له من احساس بالواجب
 — يجب أن نخطر سولومين فوراً بقرارنا
 — نعم ولكنه معرض أيضاً للقبض عليه . إذ يظهر لى ان نصفيه القتل
 فى الحركة كبير . وانه يعلم أكثر مما نعلم نحن
 — ربما . فهو لا يتكلم عن نفسه أبداً !
 — ها ها ! أى ليس مثلى ! أتدريين يا ماريانا اننى ما كنت لآسف لو انك
 ربطت حياتك برجل من طراز سولومين ... أو بسولومين نفسه !
 — لا حق لك فى أن تقول ذلك
 — ماذا تعنين ، أفهم من اعتراضك انك تحبيننى أن أفهم أن الموضوع
 بضايقتك عموماً ؟
 — قلت لا حق لك
 فأطرق نجدانوف برأسه ، ثم سألها بصوت متغير نوعاً :
 — ماريانا ؟ .. لو اننى طلبت منك الآن ... فى هذه اللحظة ...
 — ماذا ؟ ما الذى تطلبه ؟

— أنت تعرفين عن أى شىء أتكلم ... ولكن كلا ... لن أطلب منك شيئاً . والآن استودعك الله !

ونهض غرج . فلم يحاول ماريانا أن تستقيه
خرج نجهدانوف الى حجرته الخاصة فجلس على الأريكة وغطى وجهه يديه .
كان خائفاً من أفكاره الخاصة فحاول أن يكف عن التفكير . وأحس كأن
سحابة من الظلام ، أو يداً سفلية تمتد من تحت الأرض فتظلل حياته وتثبث
بمجنور كيانه بحيث لا تدع له سيلاً الى القرار
كان يعلم ان المخلوقة العزيرة العذبة التى تركها فى الحجرة الأخرى سوف
لا تأتى اليه حيث هو الآن . وكان يعلم أيضاً انه لا ينجح المرأة على أن يذهب اليها
لماذا ؟

أى شىء يمكنه أن يقول لها ؟



كانت الساعة قد بلغت العاشرة مساء وقد جلس فى حجرة الاستقبال
سيياجين وزوجته وكولوميتزيف يلعبون الورق، عندما دخل الحاجب وأعلن
أن سيداً اسمه مستر باكلين حضر لمقابلة رب البيت فى مسألة عاجلة
ولما دخل سيياجين مكتبه ووقع نظره على شخص باكلين الضئيل للتواضع ،
استولت عليه الحيرة الوزارية التى تظهر فى صورة التواضع مع الأصغر .
فدنا للجلوس وطلب إليه أن يشرح له سبب زيارته . وقبل أن يفتح باكلين
فمه قال له :

— عفوك دقيقة واحدة . لقد رأيتك من قبل ! ولكن لا أذكر أين
— هذا صحيح يا صاحب السعادة . فقد رأيتني مرة فى بيت شخص يبدو
للأسف الشديد انك بعدها ...
— عند نجهدانوف ؟ تذكرت الآن . هل أنت حاضر من طرفه ؟
— كلا . بل انى على العكس ...

— هذا أحسن . والا لكنت طلبت منك مغادرة البيت فوراً . فأننا لا نسمع
بأى سفارة بيني وبين نجهدانوف لأنه أهاننى بطريقة لا تنسى . وأنا طبعاً تساميت
فوق شعور الانتقام . ولكنى لا أقبل أن أسمع عنه شيئاً لاهو ولا تلك الفتاة
المحبوبة التى سولت لها نفسها أن تتأخر بيتاً أعزها وآواها وصاتها كي تهدو

عشيقه أفاق مغمور ! يكفيهما أنى اكتفت بفسانيهما
— لقد أوضحت لسعادتك أنى لم أحضر بخصوصهما بالذات . ولكن
بهذه المناسبة أحب أن أقول لك أنهما تزوجا زواجاً شرعياً ...
— لا أهمية لهذا فى نظرى . ولكن ما هى للسألة العاجلة التى حضرت
بسببها ؟

— ان شقيق زوجتك قبض عليه وهو يرسف الآن فى الأغلال . لما أن
سمعت بذلك حتى حضرت فوراً لأخبرك عسى أن تنقذه
— أشكرك كثيراً . ولكن هذا الرجل الذى يدوس حرمة القوانين ونظم
الدولة لا يمكن مهما كانت صلة قرابته بى قوية أن أعرك لاقاذه . فهو مجرم .
واعلم يا سيدى أنى سأمر بأعداد العربية فوراً وأذهب إلى البلدة لألقده بل ...
— خانيك يا صاحب السعادة !

— هذه هى مبادئى يا سيدى . فأرجوك أن لا تضايقنى باعتراضاتك !
وجذب سيباجين الجرس فدخل خادم أصدر إليه أوامره بأعداد العربية
ثم راح يفرع الحجرة بخطوات واسعة فى غضب ، إلى أن افتتح الباب ودخلت
مدام سيباجين وفى أعقابها كولوميتزيف

— ماذا حدث يا بويرس ؟ لماذا أمرت بأعداد العربية ؟
فتقدم نحوها سيباجين وأمسك بذراعيها من فوق الكوع وقال :
— تشجى يا عزيزتى ! لقد قبض على أخيك !
— أخى أنا ؟ ولكن لماذا ؟

— لأنه كان يشر بين القلايين بالاشتراك . قبضوا عليه وسلموه
للشرطة . وقد جاء هذا السيد يخبرنى بذلك

— وهل تريد أن تذهب الى المدينة فى هذه الساعة للتأخرة ؟

— أظن الحاكم لم ينب بعد

وعندئذ قال كولوميتزيف بغيظ :

— كلى ثقة أن هذا اللطم مجدثوف له صلة بالمسألة . فهم جميعاً عصابة
واحدة . ألم يقبضوا عليه ؟

— لأعلم . ولا أريد أن أعلم . والظاهر أنهما تزوجا . لقد أخبرنى هذا السيد

— أخبرك ؟ اذن فهو يعرفهما . ويعرف أين هما ! أتعرف أين يقمان ؟

لماذا لا تجيب ؟ أجبني ! أعرف ؟

— وبغرض أنني أعرف لا ينبغي أن أخبرك !

— سمعت يا بؤريس ؟ إنه أيضا من العصابة عنها

وفي هذه اللحظة دخل الحاجب يعلن أن العربية أعدت . فذلت فالتفتنا
مهايلوفنا كل ما في وسعها لاقناع زوجها بعدم الذهاب ليلا خوفاً عليه من البرد
الشديد ومن حوادث الطريق في الظلام . وقالت له بالفرنسية إنها لا تستبعد
أن يكون هناك كمين منصوب فأذعن لها وصرف العربية على أن حمد في السادسة
صباحاً . كما أمر بصرف عربية باكلين . فاعترض باكلين ، فقال له يبرود :

— سأخذك معي غداً إلى مقر الحاكم ! وسيتولى الخدم تقديم ما يلزمك
من القودكا هذه الليلة . ماذا تقول ؟ ارفع صوتك قليلا ! لا تحب القودكا ؟
في هذه الحالة خذ يا تيودور قوراً إلى حجرة النوم الخضراء

ومن غير مناقشة وجد باكلين نفسه محبوباً في حجرة النوم الخضراء ثم
أقبل الخادم بأبها بالمفتاح ! وراح يوبخ نفسه على مشروعه للنكود ثم استلقى على
الفرش فنام نوماً سيئاً جداً . حتى إذا كانت الساعة الخامسة أوقف من نومه
وقدم له الخادم فنجاناً من القهوة . وبعد ذلك جاءوا إليه بالافطار فوق صينية
فلما فرغ منه — ولم يجب في الواقع إلا قليلاً جداً — أخذوه إلى الطابق الأسفل
وهناك وجد العربية واقفة في الانتظار عند الباب . ورأى كذلك عربية
كولوميتزيف المفتوحة . ثم ظهر على السلم سيياجين متدثراً بعباءة من
صوف الجمل

وحيا سيياجين باكلين بكل ظرف . ثم أشار يده إلى العربية وطلب إليه
أن يركب . ولما أطلت فالتفتا بمهايلوفنا وهي ما تزال في ثياب النوم من فرجة
صغيرة في نافذة مخدعها لوح لها سيياجين يده ، فقالت له بالفرنسية :

— ترفق بأخي ...

فطوح يده ولم يجب إجاباً واضحة . فظن نحوها كولوميتزيف وقال بالفرنسية :

— اطمئني ... !

وانطلقت العريتان . وظللا الصمت سائداً بعض الوقت إلى أن سأل سيياجين

— ألا تدري في أي ظرف بالضبط قبضوا عليه ؟ وأين حدث ذلك ؟

— سمعت أنه قبض عليه في منطقة ت

— من الذى قال لك ذلك ؟

— شخص ما ...

— انه شخص طبعاً . فليس من المحتمل أن يكون الذى أخبرك عصفور
ولكن من هو هذا الشخص ؟

— اسمه ... اسمه ... إلياس فتش . وهو رجل أمين جداً ومستقيم .
فبمجرد ما أن عرفت منه النبأ - وهو موظف فى ديوان الحاكم - قررت أن
أسرع إليك لتقبله ...

وساد الصمت مرة أخرى إلى أن قطعه سيباجين أيضاً قائلاً :

— أظنك بالأمس تحدثت عن صديقك ... ذلك الشخص الذى تزوج
بنت أختي ... ولكن ألا تراها ؟ وهل يقمان فى مكان قريب من هنا ؟
— رأيتهما مرة واحدة فقط يا صاحب السعادة . وهما بالتأكيد لا يقمان
بمبدأ من هنا

— أنت تدرك طبعاً أننى لا أهتم بهما . ولكنى أعتقد أن هذا الزواج
ضرب من الحماقة . وأن الذى جمع بينهما هو الرأى السياسى فى الغالب

— هذا هو رأى أيضاً يا صاحب السعادة

— ان نجمدانوف ثورى . وأصفه فأقول إنه لم يحاول اخفاء ذلك ولا أشك
فى أنه ذو أصبع فى هذه القضية . وسوف يصلون إليه . وربما تحتم على أن
أتوسط من أجله هو أيضاً ...

فوقع باكين فى هذا الفخ الساذج . وضم يديه إلى صدره وقال متوسلاً :

— أناشدك الرحمة يا صاحب السعادة أن تشمله بمحابتك

— أتظن هذا مناسباً ؟

— ان لم يكن من أجله فن أجل بنت شقيقتك ، زوجته !

— أراك صديقاً مخلصاً له . وهذه مزية طيبة أيها الشباب ! لقد قلت على

ما أذكر أنهما يسكنان بالقرب من هنا ؟

— نعم يا صاحب السعادة . فى مؤسسة كبيرة جداً ...

ثم تنبه لخطئه فعض على لسانه . ولكن سيباجين قال باستخفاف :

— فى مصنع سولومين طبعاً . كنت أعرف هذا طول الوقت . فليس لك

أن تلوم نفسك لأنك تكلمت !

والله يعلم أنه لم يكن يدري . وإنما استتج هذا من كلام باكلين الساذج



وكان حاكم مقاطعة س . جنرالا طيب القلب وجيه النظر عفا اليد ،
نشأ نشأة حسنة مثقفة . وقد أمر بإدخال ضيفيه الى مكتبه ثم لحق بهما هناك
بملايس المنزل حيث صالغهما بحرارة . أما باكلين فبقى بالحجرة الخارجية
وتولى سيباجين شرح الموضوع الذى حضر من أجله . فضرب الحاكم
جبهته يده وظهرت عليه أمارات الأسف ثم قال :

— ويحى ! إنه هنا الآن . ولكنه لا بد أن يرحل اليوم . فهذا النوع
من القبوض عليهم لا يمكن أن تحتجزه عندنا بل ترسله الى الرئاسة فوراً .
يا لزوجتك المسكينة !

— أريد أن أقابله هنا أمامك . إن لم يكن هذا مخالفاً للقواعد

— إن القواعد لم تخلق لأمثالك . سأحضره حالا

وبعد أن أصدر أمره الى ياوره التحذلق بذلك ، التفت الى سيباجين

— تصور يا عزيزى أن الفلاحين كادوا يقتلون شقيق زوجتك لقد

قيدوا يديه خلف ظهره وآتوا به الى هنا فى عربة سباح ! ومن العجيب أنه

غير حائق عليهم ! بل ان هدوءه أدهشنى . وسترى بنفسك الآن

فقطوع كولوميتريف وقال :

— هؤلاء المادئين هم النوع الخطر

— على فكرة يا كولوميتريف . يجب أن أحدث اليك فان الفلاح

الذى كان مديناً لك وجاء الى هنا منذ أيام ليشكوك ...

— ما شأنه ؟

— شئ نفسه !

— متى ؟ ...

— ليس المهم متى . المهم أنها مسألة سيئة

فهب كولوميتريف كنفه ومشى يتبخر الى النافذة . وعندئذ انفتح الباب

ودخل الياور الأنيق وفى صحبته ماركيلوف

وكان ماركيلوف كما قال الحاكم عنه هادئاً هدوءاً غير طبيعى وغير مكثرت

على الاطلاق . وكان بادى الازدراء للياور الألماني . كان وجهه قذراً منطى

بالكلمات . وملا به حمزة . فنظر اليه سيباجين ملياً ثم تقدم نحوه
خطوتين وقال :

— لا حاجة بي أن أقول لك كم أدهشنا سلوكك . ولكنك أردت هذا
الدمار لنفسك ! لقد أثبت لأحاول إقناعك بسلوك طريق للنطق والتفعل ،
قياماً بواجب الصداقة والشرف . مازال في وسعك أن تتخذ نفسك وثق
أننى سأبدل كل ما أملك من نفوذ لمساعدتك . ولكن بشرط أن تقدم نعماً
صادقاً على ضللك وتعترف اعترافاً كاملاً شاملاً يكون له وقته الحسن في
الدوائر العليا

وهنا التفت ماركيلوف الى الحاكم وقال له بكل هدوء :
— يا صاحب السعادة . ظننت أنك أرسلت تستدعيني لأنك تريد أن
تستجوبني مرة أخرى . ولكن إن كان حضوري هنا تلبية لرغبة مستر
سيباجين فقط ، فأرجو منك أن تأمر بأعادي . فالتفاهم بيننا مستحيل . إنه
يتكلم بالصينية !

فصرخ كولوميتزيف بنضب :
— وإنا نراك للفلاحين ، ألم تكن صينية ؟
— إن كنت تريد يازوج شقيقي أن تعرف آرائي الحقيقية فها هي . إنى
أعترف أن من حق الفلاحين أن يقبضوا على ويسلموني للسلطات ماداموا
لا يوافقون على وجهة نظري التي حاولت تبشيرهم بها . فأنا للوم لأننى ذهبت
إلهم من تلقاء نفسى . وأما الحكومة فإن خطر لها أن ترسلنى الى سيبيريا ،
فسأذهب بدون تنمر ، مع أننى لا أعتبر نفسى مذنباً . فالحكومة إذ تفعل
هذا إنما تقوم بمهمتها ، وهى النطاع عن نفسها وحماية سلامتها
— ألا تتوى أن تتوب ؟

— دعنى من توبتك الا شأنك بسريرى وضميرى
— لقد كنت دائماً هكذا لا تصنى أبداً لصوت العقل . إن أمامك
فرصة لا نظير لها كي تخرج من هذا المأزق فنحن نعطف عليك وأنت
تكرهنا

فأطرق ماركيلوف برأسه . كان مضطرب الأعماق بالرغم من هدوئه
الظاهرى . وكان اضطرابه لا خوفاً على نفسه بل لأنه وثى به

واتحى سيباجين بالحاكم جانباً وراحا يتهاसान . واتخفا على توفير ما يمكن
من سبل الراحة لهذا الصوة . وأوشك سيباجين أن ينصرف ، لولا أن
كولوميتزيف ذكره بالشخص الآخر . فتمهل وقال للحاكم :

— لقد أتيت معى رجل آخر أرجو أن تأذن له بالدخول

وبعد دقيقة واحدة كان باكلين مائلاً فى المكتب . فانحنى للحاكم ، ثم لمح
ماركيلوف ولكنه لم يحسر على مخاطبته . وتولى سيباجين الكلام قائلاً :

— إن هذا الشخص يا صاحب السعادة هو مستر باكلين . وهو صديق
حميم لشخص يؤسفى أن أقول إنه كان مطلقاً خصوصاً لولدى ثم هرب بآبنة
أختي . وأظنك سمعت بذلك . واسم ذلك الشخص نيجدانوف . وهو ثورى
خطر . ولا بد أن له صلة بحركة السعاية هذه . ولكنه محتجب كما عرفت من
السيد باكلين فى مصنع يديره شخص اسمه سولومين

فلما سمع ماركيلوف ذلك شمل باكلين بنظرة ازدراء . وحاول باكلين
أن يذكر سيباجين بما سبق أن قال له من أنه كان يعرف ذلك من قبل .
ولكن سيباجين لم يلتفت اليه . وصاح ماركيلوف يقول للحاكم :

— أرجو منك أن تأمر بإخراجى من هذا الجو الحاقق !

فاتهره الحاكم والتفت الى سيباجين يسأله عن تفاصيل محل إقامة
نيجدانوف . ثم التفت الحاكم الى ماركيلوف وسأله هل يعرف نيجدانوف
وسولومين ، فأجابته :

— كأتى بك تسألنى هل تعرف كوتشيسوس وشيشرون !

— أنت شخص لا فائدة ترجى منه ! عودوا به الى الحبس

وتوصل باكلين راکماً على ركبته الى سيباجين والحاكم أن يتركا نيجدانوف
وعائنه ، ولو من أجل خاطر زوجته . ولكن سيباجين صم أذنيه ، وجعل
كولوميتزيف بخطب بصية عن واجب الولاء والضمير وسحق للتردين
الخنوة . فأمر الحاكم على الفور بإرسال ثلة من الجنود الى المصنع كى تقبض
على نيجدانوف . وعندئذ ذكره كولوميتزيف برأس الأفعى سولومين الذى
كان يحقد عليه جداً لتركه . ولكن الحاكم قرر التريث فى ذلك الى أن
تتجمع الأدلة الكافية

وبعد ذلك أحلوا سيباجين بالحاكم ، ثم خرج مع ماهرآ

اعتراف

عند ما خرجت ماريانا ذلك الصباح من حجرتها وجدت نجدانوف جالسا فوق الأريكة بملابسه الكاملة في حالة يأس وانهايار . فأدركت أنه لم يخلع ثيابه ولم يمت طول الليل . فلما سألته عن ذلك ، رفع جفنيه الثقيلين ببطء وقال :

— لم أستطع أن أتم بعد أن رأيت سولومين يدخل حجرتك ليلا !
— أثار منه ؟ يا لها من فكرة ! لقد مكثت معي ربع ساعة فقط أخبرني فيها انه أعد كل شيء لحضور القسيس

— أعلم انه لم يمكث سوى ربع ساعة . فقد رأيته يخرج . ولست غيرنا .
ومع هذا لم أستطع أن أنام . لبثت أفكر ... وأفكر ... وأفكر ... فيك ... وفيه ... وفي نفسي

— وماذا كانت نتيجة كل هذا التفكير ؟

— هل أقول لك ؟

— أجل قل لي

— بدا لي انني أقف في طريقك ، وطريقه ... وطريق . ان في داخلي رجلين أحدهما يمنع الآخر من أن يعيش . لهذا رأيت أن يكفأ معاً عن الحياة — أرجو منك يا ألكساي . لماذا تريد أن تعذب نفسك وتعذبني ؟ الأولى بك أن تفكر في وسائل للنجاة . فلن يتركونا في أمان طويلا

فتناول نجدانوف يدها وداعبها ثم قال :

— اجلسي بجانبني هنا يا ماريانا ولتحدث حديث صديقين . فقد آن لنا الآن أن نواجه الحقيقة . وأنت رقيقة وذكية ولاشك أنك ستفهمين مقصدي جيدا حتى حين يخونني التعبير . ولن أعوقك طويلا . فقد فكرت طول الليل فيها سأقوله لك . أنتدري لماذا أفرطت في الشراب بالأمس ؟ لأنني كنت مهموما .

قد اكتشفت في الأيام الأخيرة اني لا أومن في أعماقي بقضيتنا التي جمعنا
ودفعنا للفرار معاً . لا أومن بها الا أومن بها ا ولا أومن بنفسى . فهل
تؤمنين أنت بتلك القضية يا ماريانا ؟

فاعتدلت ماريانا في جلستها ورفعت رأسها وقالت :

— أجل يا ألكسائى . أومن بها بكل قوى روحى وسأخصص لها حياتى
حتى الرمق الأخير !

— كنت أعلم ان هذا سيكون جوابك . وها أنت ترين انه لم يبق بيننا
شيء مشترك يربطنا . لقد مزقت رابطنا بضربة واحدة . أما سولومين . فمع
انه لا يؤمن في أعماقه بالقضية ، إلا أن هذا الايمان غير ضرورى له . انه يسير
بدونه قدماً . أما أنا فلا أستطيع . اننى خائر ضعيف !

— انك تبالح يا ألكسائى . ألسنا متحابين ؟

— انى أعنى لنبلك . انك تشفقين على . فأنت تطمين انه لا حب بيننا !

4 . ان البوليس سيأتى يبحث عنا اليوم . يجب أن نهرب ولا نترقب

— كلا . بل يجب أن يذهب كل منا الى مكان . ولست ندلا حتى أتركك
وحده غير حامى حميك . ولكنى مطمئن كل الاطمئنان انك ستكونين فى أمان
بدونى . اننى شخص لا يصلح للحياة وليست لديه الحيوية الكافية للاقبال عليها .
اننى كالرجل للمعود الذى لا يجد شية للطعام ، ولا قدرة له على هضمه

وأوشكت أن تسأله ماذا يعنى ، ولكنها احترمت دموعه للهمرة . ثم دخل
سولومين وأعلتها بالرجل فوراً بصحبة بافل الى كنيسة الأب سوزيم .
وخرجت ماريانا لتجتمع برهة بتيانا قبل أن ترحل . وأوشك سولومين أن
يخرج وراءها فاستوقفه مجدداً ونوف

— ماذا تريد ؟

— أعطنى يدك . انى أريد أن أشكرك على عواطفك وضيافتك . شكراً
لك . ثم أريد أن أسألك : ان حدث لى أى شيء ، هل أطمئن الى انك لن
تخلى عن ماريانا ؟ عدنى بذلك

— سوف لا يحدث لك شيء . ولكنى أعدتك على كل حال فهى عزيزة
علىّ مثلها هى عزيزة عليك تماماً

— كنت أعلم هذا . كنت أعلمه ! وإنى مسرور لما سمعت . شكرًا لك .
والآن سنلتقي بعد ساعة لنرحل معاً . أليس كذلك ؟

— سأكون على أتم استعداد . إلى اللقاء أيها الصديق
ثم خرج سولومين . فالتقى ماريانا تصعد السلم . وهم أن يقول لها شيئاً
عن نجدانوف . وما رآه من غرابة أطواره ، بيد أنه أحجم ولم يتكلم . وفطنت
ماريانا إلى أنه كان يريد شيئاً ثم عدل عنه . بيد أنها لم تلتصم كذلك
ولما همّت أن تحرق حجرة نجدانوف إلى حجرتها تذكرت أنها نسيت شيئاً
كانت تريد أن تخبر به تقيانا ففكرت راجعة . فاستوقفتها نجدانوف
— ماذا ؟ ...

— اقتربي مني . أريد أن أراك عن كثب
فاقتربت منه . وكانت عيناه تشعان رقة حين قبل شعرها ، ثم ترك يدها
غفرجت ...



مصرع قلب

ما إن خلا نجدانوف الى نفسه حتى راح يندرع الحجرة بضع مرات ثم وقف في وسطها متصبلاً من فرط الحيرة . وجأءه راح يخلع ثيابه التكرية وقذف بها الى ركن الحجرة ثم ارتدى ثيابه الأصلية واتجه الى للنضدة ذات الثلاثة أرجل وأخرج منها خطاين مختومين وأشياء أخرى دسها في جيبه . أما الخطابان فتركهما فوق للنضدة . ثم نام على بطنه أملم للدقاة وأزاح الرماد المكوم . وكان هذا الرماد هو كل ما تخلف من أوراقه الخاصة وأشعاره التي أحرقها في الليل . ولم يخف من الحرق إلا صورة ماريانا التي كان ماريكوف قد أهداها إليه . فتناول تلك الصورة وقبلها ثم وضعها بجوار الخطاين ونهض من مكانه واتجه الى حجرة ماريانا

وهناك وقف برهة ينظر فيها حوله ، ثم اقترب من سريره الصغير ومال فوقه وهو ينشج نشجاً مكتوماً فطبع بشفتيه قبلة عند موضع القدمين ثم قفز منتصباً ووضع قبعة فوق رأسه واندفع خارجاً

لم يقابل أحداً على السلم ولا في الفناء أو الطابق الأسفل الى أن صار في الحديقة . وكان يوماً رطب الأنفاس تجمع السحاب في سمائه وأرسل النسيم أمواجاً في نوايب العشب وأوراق الشجر . وتلفت نجدانوف فيما حوله حتى استوثق أن المكان خال . ثم قصد تواء إلى شجرة التفاح العتيقة التي استلقت نظره في أول يوم جاء فيه الى ذلك المكان . وثبت قدميه الى جانب جذعها . ثم استخرج من جيبه ذلك الشيء الذي كان قد أخذه من درج للنضدة . ورفع عينيه الى نوافذ البيت الصغير

— لو رأي أحد الآن ، ربما لم أستطع ...

ولكن أحداً لم يكن هناك . كان وحيداً تحت رحمة قدر لا يعرف الرحمة

وأجال نجدانوف بصره في الأغصان للمروقة وفي السماء اللبدة ثم تناوب ورقد فوق الأرض . وبدأ شيء من الخلود للستح يستولى على كل جسمه ، فزنع قبعة وألقاها بعيداً ، ثم ضفط على زناد الهندس . وسمع صوتاً وأحس بصدمة عنيفة ... غاول أن يناديها ... ولكن قفلاً رهيباً سمعه في التراب الى الأبد

وكانت تتيانا في تلك اللحظة التي جذب فيها الزناد قد لمحتة راقداً تحت الشجرة . ثم سمعت الصوت فغقت اليه لاهة الأتقاس وصرخت تتادى زوجها . وفي دقيقة واحدة كانت هناك ماريانا وسولومين وبافل وقر من العمال فرفهوه على الفور ونقلوه الى البيت وأرقدوه على الأريكة التي قضى فوقها ليلته الأخيرة كان وجهه أزرق ، وفي حلقه حشرة . وبين حين وحين يطلق نسيجاً مكتوماً . ولم تكن الحياة قد فارقت . وكان شحوب ماريانا وسولومين قريباً جداً من شحوبه . وكانت ماريانا على الحصوص تشمر أنها تحطمت . ولكنهما لم يشعرا بدھشة كأن ما حدث كان نتيجة طبيعية جداً

ولكن ترى لماذا لا تجسر ماريانا الآن أن تنظر الى سولومين ، وكأنه شريكها في المسئولية ؟ لماذا يقفان هكذا مصوقين لا يجسران حتى على التنفس ، في انتظار ... ماذا ؟ رباه !

وأرسل سولومين يستدعى الطبيب ، وإن كان الأمل معدوماً . وجعلت تتيانا تضلرأس نجدانوف بالماء البارد والحل . وجأة توقفت الحشرة واختلج جفناه . غفرت ماريانا راكمة على ركبتيها بجواره . قبت فيها نظره وقال : — أما زلت حياً ؟ ... يؤسفنى ... أنتى ... أعوقك . لن أطيل على كل حال . ماريانا ... أحيطيني بالأزهار ... هناك وصيتي في خطابي . هيا . تناولى يده ... أمامى ... الآن ... بسرعة

ولما لم تحرك ، أسرع سولومين قبض على يدها . وكان رأسها على حافة الأريكة بالقرب من الجرح . ورأى نجدانوف ماحدث فقال : — هذا حسن . الآن أذهب مطمئناً ... وكانت هذه آخر كلماته



ولما فضا الخطاين المتومين ، وجدا أحدهما قصيراً جداً ، وموجهاً الى



« وفي دقيقة واحدة كانت هناك ماريانا وسولومين وبافل وتلوه الى البيت »

صديقه سيلين . يخبره فيه أنه فارق هذا العالم
أما الخطاب الثاني فكان موجهاً الى سولومين وماريانا

» أيها العزيزان

» أكتب هذا بعد أن قررت الرحيل عن الدنيا . لأقول لكما اننى أسأت اليكما ، ولا سيما ماريانا لما سببته لكما من الحزن والقلق . وأنا واثق ان ماريانا ستحزن جداً وتكتئب نفسها . ولكن ماذا كنت حرياً أن أصنع ؟ لم أستطع أن أجد وسيلة أخرى . ولم يكن في وسعي أن أعيش عبثاً روحياً على ماريانا مع ما أعرفه فيها من نبل وأريحية فزها أن تتحمل للمسئولية والتضحية بصدرك حب . ولكنى لست من الحسة بحيث أقبل منها تلك التضحية بحياتها

» فاسمح لي أيها الصغيران أن أجمعكما على قبري . فسوف تسعدان بالحياة معاً . وإنى واثق انك يا ماريانا ستجيبين سولومين جداً . أما هو ... قد أحبك منذ وقت عيائه عليك أول مرة عند آل سيبياجين

» ان أمامكما غداً يوم شاق جداً . ولكن ماذا كنت أصنع ؟ لم أجد مناصاً من ذلك . فوداعا يا ماريانا ! وداعا يا سولومين ! واعلم اننى أتركها في رعايتك . فاسعدا معاً ، وعيشا للناس . وكلما أسكرتك السعادة يا ماريانا فاذا كرتي . اذكريني لأننى أحببتك وأردت لك السعادة . ولكن لا تحزني ولا تأسفي لموتى . لأنه كان خيراً لي أن أموت من أن أحيأ . لقد آثرت سعادتك فيجب أن تؤثرى سعادتي

» هل أحببتك حقيقة ؟

» لا أدري يا عزيزتى . ولكننى أدري يقيناً اننى لم أحب أى انسان أكثر مما أحببتك . وأوصيك أن التفتي يوماً بآنة تدعى ماشورينا أن تبليها اننى تذكرتها بكل امتنان في لحظة تهايق . وستفهم ماذا أعنى

» كلمة واحدة أخيرة . ربما خطر لك يا ماريانا اننى وضعت حداً لحياتى خوفاً من السجن . ولكن صدقنى أن هذا غير صحيح . فليس السجن مخيفاً في حد ذاته . لكن الذى لا يحتمل حقاً أن يسجن الانسان في سبيل قضية لا يعقلها

بؤمن بها . والآن أستودعك الله أيها الطاهرة المحبوبة »



قرأت ماريانا الخطاب ثم قرأه سولومين . وبعد ذلك وضعت صورتها والخطابين في جيها ووقت صامته . فقال لها سولومين :

— هيا بنا يا ماريانا نذهب . فعددت القران كاملة في الكنيسة . والكاهن في الانتظار . فلنتطلق لنحقق مشيئته الأخيرة

واقربت ماريانا من نجدانوف ، ثم طبعت شفتيها بحرارة وخشوع على جبينه الذي امتدت إليه برودة الموت . ثم تقدمت من سولومين فواجهته بنبات وقالت له :

— هيا بنا ...

نفرجا ، وقد تشابكت يداهما ...



ولما حضر رجال الشرطة الى المصنع بعد بضع ساعات لم يجدوا غير جثة نجدانوف . وكانت تتيانا قد أعدته لرحلته الأخيرة . وسجته فوق حشية بيضاء وعقدت يديه فوق صدره وحاطت جسمانه بأطنان من أزهار الحديقة . ولكنها لم تضع صلياً على صدره

وروى باقل لرجال الشرطة ظروف الانتحار . ثم وزع عليهم الخبر السويسرى وكؤوس نبيذ مدبرا . ولما سألوه عن سولومين وعن السيدة قال إنه لا يدرى عنهما شيئاً . ثم أكد لها أن سولومين لا يطيل القياب عن عمله وأنه لا شك سيعود بعد قليل . وربما في اليوم التالى على الأكثر

وهكذا انصرف الشرطة بعد أن تركوا حارساً منهم يحرس الجثة إلى أن يحضر المحقق والطبيب الشرعى

وفي هذه اللحظة كان اثنان يركبان أمام كاهن كان قد استعد ليعقد قران العروس على رجل يرقد بلا حياة ... !